# الأديب

# خالد أبو خالد

# خالد أبو خالد بين التّغريبة والعَوْديسا

## حين يُؤرّخ الشّعْر أنين الذّاكرة

طٰه غالب طٰه*

**المبحث الأوَّل: ترجمة الشَّاعر:**

كانت ولادة خالد أبي خالد شاهدًا على الأصل الملتصق بالتُّراب الفلسطينيّ، منذ الطَّور الأوَّل لانتفاض الفعل النِّضاليّ الوطنيّ، في وجه استلاب الأرض، ومُصَادرة كَرَامة الإنسان؛ إذ كان له أن يُعانِق الحياة في "سِيلَة الظَّهْر" قضاء جِنين[1]، سنة (1937م)، والثَّورة-التي كان سَلِيل أحد قادتها-لم تزل في اتِّقادٍ، وهو على ذٰلك فلسطينيُّ المَسْقَط، عربيُّ الأُرُومة، كنعانيُّ الجُذُور، ثوريُّ النَّسَب، قسَّاميُّ الرُّؤْية، شاعريُّ الهَوَى، ريفيُّ المَنْشأ، عِصاميُّ النَّهْج.

وكان له أن يذوق مرارة اليُتْم مُبكِّرًا؛ ذٰلك أنَّ والده المجاهد محمَّد صَالِح الحَمَد "أبو خَالِد"-الملتحق بجماعة الشَّهيد عزِّ الدِّين القَسَّام-استشهد عقب عامٍ من ولادته؛ إذ خضَّبت دماؤه ثرى الوطن في معركة دير غسَّانة، بتاريخ (1938/5/18م)، مع غيره من رفاق الثَّوْرة، ورأى الشَّاعر في كُنْية والده "أبي خَالِد" خير كفايةٍ عن سلسلة النَّسَب؛ إحياءً لذكرى الوالد الشَّهيد؛ وتخليدًا للكُنْية التي اشتَهَر بها بين المجاهدين[2]، "وهو الذي كان من

---

* محاضر في جامعة بير زيت.

[1] يُنظَر في معالم قرية سِيلَة الظَّهْر: الدَّبَّاغ، مُصطَفى مُرَاد، (2006م)، **بلادنا فلسطين**، (طَبْعة جَدِيدة)، كفر قرع: دار الهُدَى، الجزء الثَّالث، القسم الثَّاني، ص89- 94؛ وفي طبيعتها الخلَّابة يُنظَر: **نفسه**، الجزء الثَّاني، القسم الثَّاني، ص414؛ ويُنظَر: المرعشلي، أَحْمَد وآخرون، (1996م)، **المَوْسُوعة الفلسطينيَّة – القِسْم العامّ**، (طَبْعة جَدِيدة)، دِمَشق: هَيْئة المَوْسُوعة الفلسطينيَّة – طُبِعت في مطابع ميلانو ستامبا الإيطاليَّة، 2: 605، 606.

[2] يُنظَر: الدَّبَّاغ، **بلادنا فلسطين**، الجزء الثَّالث، القسم الثَّاني، ص91؛ ويُنظَر: شراب، محمَّد محمَّد حسن، (2006م)، **شُعَراء فلسطين في العَصْر الحَدِيث**، عمَّان: الأهليَّة للنَّشْر والتَّوْزيع، ص129؛ ويُنظَر أيضًا: أبو خَالِد، خَالِد، (2008م)، **العَوْديسا الفلسطينيَّة**، رام الله: بَيْت الشِّعْر، ص16، 17؛ وفي ترجمة والده على نحو الخصوص، يُنظَر: **نفسه**، 1: 17؛ ويُنظَر: المرعشلي وآخرون، **المَوْسُوعة الفلسطينيَّة –**

خيرة القادة الفلسطينيّين حِنْكةً وشجاعةً وحرصًا على الاستشهاد، وقد اتَّخذ من (سِيلَة الظَّهْر) مَقرًّا مُتنقِّلًا لقيادته"[1]، كما خاض "عشرات المعارك ضدّ القُوَّات البريطانيَّة، وضدّ القوافل والمستعمرات اليهوديَّة"[2].

تلقَّى تعليمه الأساسيَّ في أحضان قريته، التي حصل في مدرستها على الصَّفِّ السَّابع الابتدائيّ، فضلًا عن انتقاله إلى كلِّيَّة النَّجَاح بنابلس. وكان له أن يطلب الثَّقافة في مظانّها، بالمُطَالعة الجادَّة الدَّؤُوب، تلك التي أسهمت تاليًا في الارتقاء بمستواه المعرفيّ، على نحو ما خالجنا به نتاجه الأدبيُّ[3]، فضلًا عن الحسِّ الدِّينيّ الذي أسَّسه في دواخله جدُّه لأمِّه الشَّيخ مُحمَّد يوسف عبد القادر[4].

وطوَّف الشَّاعر عواصم العُرُوبة، بين دُوَل الطَّوْق وممالك النِّفْط، عقب النَّكْبة التي أرسلت الفلسطينيّين إلى دول الشَّتَات؛ فأقام في الكويت، وحطَّ رحاله بين الثُّوَّار في الأردن، وكابد بَيْرُوت بشقائها وشقوتها، وفي دِمَشق كان المستقرُّ[5].

وقد أُتِيح له بعد مزيد كَدٍّ أن يَمْتَهن الإعلام؛ فعمل مذيعًا في إذاعة الكويت ودِمَشق وتلفزتهما، مع التئامه بالعمل الأدبيّ في وجهته الإبداعيَّة؛ من خلال كتابة الشِّعْر

---

**القِسْم العامّ**، 4: 147، 148؛ ويُنظَر: حمُّودة، سميح، (د. ت)، **الوَعْي والثَّوْرة – دراسة في حياة وجهاد الشَّيخ عزّ الدِّين القسَّام**، القُدْس: جمعيَّة الدِّراسات العربيَّة، ص107، 108؛ ويُنظَر: **سِيلَة الظَّهْر: يوميَّات من ثَوْرة 1936م**، موقع فلسطين في الذَّاكِرة، (www.palestineremembered.com)، إعداد: عِمَاد حنتولي، بتاريخ (2008/2/18م).

[1] جرَّار، وَلِيد صَادِق سَعِيد، (1985م)، **شَاعِران من جَبَل النَّار: إبْرَاهيم طُوقَان وعبد الرَّحِيم مَحْمُود**، عمَّان: شركة الشَّرْق الأوسط للطِّباعة، ص40.

[2] حمُّودة، **الوَعْي والثَّوْرة – دراسة في حياة وجهاد الشَّيخ عزّ الدِّين القسَّام**، ص107.

[3] يُنظَر: شراب، **شُعَراء فلسطين في العَصْر الحَدِيث، 1:** 129.

[4] يُنظَر: أبو خَالِد، **العَوْديسا الفلسطينيَّة**، 1: 15، (سَادِن أُحُد الثَّقافة الفلسطينيَّة – بورْتَريه لكَنْعان الفَتَى بقلم مُرَاد السُّوداني).

[5] يُنظَر: شراب، **شُعَراء فلسطين في العَصْر الحَدِيث، 1:** 129؛ ويُنظَر: الجيُّوسيّ، سَلْمى الخَضْراء، (1997م)، **مَوْسُوعة الأَدَب الفلسطينيّ المُعاصر**، بَيْرُوت: المُؤسَّسة العربيَّة للدِّرَاسات والنَّشْر، ص111.

والمسرحيَّة، ونشر إنتاجه في المجلاّت والدَّوريَّات، كما انضوى في الأُطُر المؤسَّسيَّة؛ وكان بذلك عضوًا فاعلًا في الأمانة العامَّة لاتّحاد الكُتَّاب والصَّحفيّين الفلسطينيّين، في المؤتمر التَّأسيسيّ، لدورتين متتاليتين، بدءًا من عام (1972م)، حتَّى عام (1980م)، فضلًا عن عضويَّته في لجنة العمل النَّقابيَّة، وهيئة تحرير مجلَّة (الكاتب)، وله مع ذلك كلِّه إطلالةٌ جيِّدةٌ على عالم الفنِّ التَّشكيليّ[1].

اقتحم مجال السِّياسة على نحوٍ فاعلٍ، بعد عام (1960م)؛ حيث ساهم مع بعض أصدقائه في تأسيس (حَرَكة طَلائِع الثَّوْرة العربيَّة)، التي انبثقت عنها (طلائع تحرير فلسطين)؛ ليُعتَقل في الكويت عام (1966م)، وليلتحق بحركة فَتْحٍ إبَّان العدوان الصّهيونيّ الغاشم في حزيران (1967م)، وارتقى في سلَّم العمل الفدائيّ، حتَّى غدا نائبًا لآمر القطاع الأوسط فالشَّماليّ، ثُمَّ أصبح قائدًا عامًّا لميليشيا الثَّورة الفلسطينيَّة في شمال الأردن، في أيلول (1970م)[2]، [3].

---

[1] يُنظَر: أبو خَالِد، **العَوْديسا الفلسطينيَّة**، 1: 16، 17 (سَادِن أُحُد الثَّقافة الفلسطينيَّة – بورْتَريه لكَنْعان الفَتَى بقلم مُرَاد السُّوداني).

[2] يُنظَر: **نفسه**، 1: 16، (سَادِن أُحُد الثَّقافة الفلسطينيَّة – بورْتَريه لكَنْعان الفَتَى بقلم مُرَاد السُّوداني).

[3] يمكن التماس قدرٍ كبيرٍ من السِّمَات الشَّخصيَّة والفنِّيَّة، والرُّؤى الفِكْريَّة والنَّقْديَّة، في المُقَابَلات الآتية: **حَدِيث الذِّكْريات في حَضْرة الشِّعْر وفلسطين مع الشَّاعِر الكَبِير خَالِد أبو خَالِد**، موقع بَيْت فلسطين للشِّعْر، (www.ppbait.org)، أجرى الحوار: وسام الباش؛ ويُنظَر: **حِوَار مع الشَّاعر خَالِد أبو خَالِد**، موقع صَحِيفة الأُرْدن العربيّ، (www.arabjo.net)، أجرى الحِوَار: عَادِل سَالِم، بتاريخ (14/ 9/ 2010م)؛ ويُنظَر: **حِوَار مع الشَّاعِر الفلسطينيّ خَالِد أبو خَالِد**، موقع صَحِيفة التَّجْديد العربيّ، (www.arabrenewal.info)، أجرى الحِوَار: مَاهِر مَنْصُور، بتاريخ (4/ 11/ 2003م)؛ ويُنظَر: **الشَّاعِر خَالِد أبو خَالِد: نعم كنت واحدًا من شخصيَّات رِوَاية "رِجَال في الشَّمْس"**، موقع مجلَّة جُهَيْنة (ثقافيَّة اجتماعيَّة شهريَّة)، (www.jouhina.com)، أجرى الحوار: عبير غسَّان القتال، بتاريخ (1/ 8/ 2010م)، العدد (63)؛ ويُنظَر: **مُقَابَلة ثقافيَّة**، موقع مجلَّة العَوْدة (مجلَّة شهريَّة تُعنَى بشُؤُون اللاّجئين الفلسطينيّين)، (www.alawda- mag.com)، أجرى الحِوَار: وَحِيد تَاجَا، العَدَد السَّابِع والعِشْرُون، السَّنَة الثَّالثة، كَانُون الأوَّل (دِيسمبر)، (2009م)؛ ويُنظَر: **وجهًا لوجهٍ**، موقع مُؤسَّسة القُدْس للثَّقَافة والتُّرَاث، (www.alqudslana.com)، أجرى الحِوَار: عُمَر أَحْمَد، بتاريخ (15/ 2/ 2012م).

**المبحث الثَّاني: استبصارٌ وصفيٌّ للشَّخصيَّة الأدبيَّة والأعمال الشِّعْريَّة:**

**المطلب الأوَّل: المُؤسِّسات التَّكوينيَّة للشَّخصيَّة الشِّعْريَّة:**

كان للشَّاعر أن يتجلَّى على نحو ما بدا عليه في ثنايا القصيدة، وَفْقَ مُؤسِّساتٍ أسهمت في صياغة شخصيَّته الشَّاعريَّة، عِمَادها الذَّات المُندغِمة في المجموع قضيَّةً وغايةً، وقد أدرك وظيفته الثَّقافيَّة، في سبيل الأداء المشتمل بأسلبة الشَّكْل والمَضْمون، على نحوٍ أدَّى إلى سُموِّ أقانيمه الفنِّيَّة والموضوعيَّة، بمطلب الجماعة المرتحلة بين هَجِير القِفَار وهَدِير البِحَار. ويمكننا أن نجمل أهمَّ هٰذه المُؤثِّرات فيما يأتي:

**- المسرد الأوَّل: فِدَائيَّة الأُبوَّة:**

شبَّ الشَّاعر عن الطَّوْق، وحِكْمة الثَّائر تُغلِّف مُدرَكه الحسِّيَّ، وهو على نعومة أظافره، يتجاذب الحدث الذي لم يعاينه، وقد ارتحل الوالد شهيدًا في أوج ثورة القَسَّام؛ وعليه فقد حضرت ذكرى الوالد الشَّهيد في اسم الشَّاعر بدءًا، ثُمَّ في ثنايا الشِّعْر، الذي أبى على الشَّاعر إلَّا أن يبوح بحنينٍ دافئٍ، إلى أُبُوَّةٍ لم ير منها سوى طيف الحِكْمة في عقيدة الفِدَاء، تلك التي ازدادت رسوخًا باستشهاد مُعلِّمه عبد الرَّحيم محمود، وأُنموذجه النِّضاليّ عبد القادر الحسينيّ.

**- المسرد الثَّاني: بُؤْريَّة المكَان:**

يُعَدُّ موطن الشَّاعِر (سِيلَة الظَّهْر) مُؤثِّرا فاعلًا في صياغة شخصيَّته؛ إذ كانت القرية محتكمةً إلى مركز التَّداعي الفكريّ في مِخْياله، المرتحل بين الأماكن في الواقع، وبين أشطار القصيدة في المجاز؛ وهو الذي أوحت به الإضاءات المتلاحقة للبُؤْرة المكانيَّة المهاجرة معه حيثما ارتحل وحلَّ، تارةً بتلميح الإشَارة، وأخرى بصريح العِبَارة.

**- المسرد الثَّالث: عِلْميَّة المُحِيط:**

إنَّ للمحيط العِلْميّ أثرًا باديًا في شخص الشَّاعر، على سبيل التَّلقِّي المُعزَّز بعلاقته المكانيَّة الوطيدة، مع الوَطَن الكُلّ/ القَرْية الأَصْل، وبين مدرسة السِّيلة وكلِّيَّة النَّجاح، كانت الثَّورة حاضرةً في منهاج الواقع والواقعة، وهي حينئذٍ مُعَاينةً في صورة الشُّخُوص الذين

ألفتهم النَّجاح، من قبيل الشَّاعر الشَّهيد عبد الرَّحيم محمود، وأستاذه إبراهيم طوقان. غير أنَّ الثَّقافة التي اطَّلع عليها الشَّاعر، كفيلةٌ بالإشارة إلى جهده الذَّاتيّ، في تأسيس المعرفة بأبعادها الإنسانيَّة، على نحو ما يُوحِي به الشِّعْر.

**- المسرد الرَّابع: نَكْبة (1948م)[1] ونَكْسة (1967م):**

لا غَرْوَ أن يتماهى الشَّاعر مع دائرة الحدثين المُدوّين في تاريخ الأمَّة العربيَّة جمعاء، وفلسطين واحدة أقطارها، ومركز الحَدَث والمَعْركة، والجُرْح والثَّوْرة، ناهيك عن أحلام العَوْدة، والانتداب مُبتَدأهما بوعده المَشْؤوم، والتحامه المَحْموم، مع عُصْبةٍ استحالت كيانًا؛ بفعل الصَّمْت والتَّخاذُل، فضلًا عن الاستسلام والتَّآمُر، وهاتيك علائم المرحلة في شخص الشَّاعر، الذي ما انفكَّ باحثًا عن حِكْمة السُّؤال حتَّى القصيدة الأخيرة.

**- المسرد الخامس: اغْتِرَاب التَّرْحَال:**

أن يخرج الشَّاعر من موطنه كَرْهًا لا طَوْعًا، ولادةٌ جديدةٌ لحياةٍ غير فريدةٍ؛ أمَّا تجربته فَفَرَادَةُ التَّرْحال فيما وراء الآفاق؛ إذ هي التَّغْريبة بكلِّ تلافيفها الموحية بالقَهْر والحِرْمان، واستلاب كرامة الإنسان، ومكمن الغَرَابة ساجٍ في مفاتيح الشِّعْر؛ حين كان عليه أن يحمل رِبْقة المرتحلين عن الثَّوْرة، ويأسى بوِزْر المنحسرين عن نِزال الحَسْم، مشتملًا بأحلام العَوْدة، والاتِّحاد بالأرض/ الأمّ.

**- المسرد السَّادس: ثَوْريَّة الانطلاقة:**

لا ريب أنَّ الكلمة الشِّعريَّة المُعضَّدة بالفِعْل، سبيل الشَّاعر إلى الكَشْف المُبِين، والإيحاء الأَمِين، بمهمَّته الجسيمة في واقع القضيَّة، وأن تُضحِي الكلمة ثورةً فذلكم المُرَاد، من شاعر ألف الالتزام مذهبًا، ثُمَّ تَخِذَهُ غايةً، واعتمل به فعلًا مُنتفِضًا، وحركةً مَوَّارَةً بالثَّورة، بين كتائب الفدائيّين، في الصَّفِّ الأوَّل من جبهة الكَرَامة.

[1] يُنظَر في النَّكْبة: المرعشلي وآخرون، **المَوْسُوعة الفلسطينيَّة- القِسْم العامّ**، 4: 503- 505.

**- المسرد السَّابع: الحَدَث الأَيْلوليُّ:**

كان وقع الخُصُومة والخلاف حاضرًا في القيمة الحدثيَّة، المُختلِجة دوافع الشَّاعر، التي تخلَّقت بها وَمَضات الشِّعْر، المستجلية عُمْق الأزمة ولُبَّ الصِّراع، والإيمان مُعْتمِرٌ الشَّاعر الثَّائر، بحِكْمة الثَّورة في صفوف **"المِيليشيَا"**، في ظلِّ انحسار الفِعْل العربيِّ الإسناديِّ، من خلال الأرض المُشرِفة على ثرى الوطن؛ وهو الذي استحال إلى حالةٍ نقديَّةٍ عميقةٍ، وأسئلةٍ تستبطن وحدة الوجهة بين "القُدْس" وَ"عمَّان".

**المطلب الثَّاني: المضامين الكُلِّيَّة للأعمال الأدبيَّة:**

تُبِين الأعمال الشِّعريَّة عن قدرٍ غير يسيرٍ من الأُطُر المضمونيَّة، والسِّياقات الحدثيَّة، وهي على سبيل الوصف الكُلِّيِّ، استنادًا إلى سيمياء العنوان، وأقطاب المضمون، كما جاءت متراتبةً في أعماله الكاملة، على النَّحو الآتي:

**الجزء الأوَّل:**

**- المجموعة الأولى: وِسَام على صَدْر الميليشيا[1]:**

يُوثِّق الشَّاعر في هٰذه المجموعة لعلاقة الفلسطينيِّ بالبَحْر، على سبيل استلال الصُّورة التَّاريخيَّة، المُحمَّلة بالتَّهْجير، انطلاقًا إليه، وارتكازًا عليه، حين كانت مدائن البَحْر وجهة الغُزَاة الجُدُد، مع مُزَاوجةٍ بائنةٍ بين ملمحي الأَمَل والأَلَم، في قراءة مختلف أبعاد القضيَّة، بعد ما يُقارِب من عشرين عامًا على النَّكبة المُدوِّية، في التَّاريخ الإنسانيِّ الحديث، مُجَدِّدًا العَهْد بِـ**"عُرْس الأَرْض"** وَ**"أَعْيَاد الدَّم"**، ومستحضرًا لُبَّ الأزمة القائمة في **"البُكَائيَّة**

[1] يُنظَر: أبو خَالِد، **العَوْديسا الفلسطينيَّة**، 1: 19- 102؛ وقد صدرت الطَّبعة الأُولَى للمجموعة، عن دار الآداب في بَيْرُوت، سنة (1971م)، نقلًا عن: الرِّيشة، مُحمَّد حلمي، (2003م)، **مُعجَم شُعَراء فلسطين- جمع وتوثيق**، رام الله: المُؤسَّسة الفلسطينيَّة للإرشاد القوميِّ، ص85؛ ولاستجلاء سِمَات المُعْجَم الشِّعْريِّ في هٰذه المجموعة، يُنظَر: أبو نِضَال، نَزِيه، مُلاحَظات على المُعْجَم الشِّعْريِّ، في: حَمْدان، محمَّد وَآخرون، (2001م)، **الشَّاعِر خَالِد أبو خَالِد – دِرَاسَات وَشَهَادَات وَنَمَاذِج شِعْريَّة**، (د. ط)، دِمَشق: اتِّحاد الكُتَّاب العَرَب، ص16- 22.

**الواحدة والعشرين لشهرٍ اسمه أيّار"**؛ أمّا وقد انطلقت الثّورة، فلا أقلّ من **"وِسَامٍ على صَدْر المِيلِيشيَا"**، في ظلّ التّخاذُل العربيّ عن نُصْرة القضيّة.

**- المجموعة الثّانية: نُقُوشٌ مَحْفورةٌ على مسلّة الأشرفيّة[1]:**

عمد خالد أبو خالد في هٰذه المجموعة إلى شَعْرَنَةِ الأحداث والأمكنة والشُّخُوص؛ لغاية التّوثيق المُبرَّر بمركزيّتها في الذّاكرة الجَمْعيّة؛ وهي على ذٰلك تأريخٌ بالشِّعْر وَفْقَ مفهوم الأجندة، والدّفتر حينئذٍ رديفها في سنين عجافٍ بالحُرّيّة، مَوَّارةٍ بحركة التّحرُّر من سطوة الاحتلال، مع احتكامٍ إلى التّأصيل التّاريخيّ للعلاقة الجدليّة بين الأرض المُغتَصبة والعُرُوبة، التي طوّقت حُلُم التّحرُّر، على جهة **"النّقْش المَحْفُور"**؛ والشّاعر بذٰلك يُرسّخ لحالة الاتّحاد بين **"بِيسَان"** وَ**"الأشرفيّة"**، وَ**"فَاطِمة حُسين"** وَ**"أبي عَلِي إيَاد"**، في المعركة النّضاليّة؛ رَدًّا على العَجْز العربيّ المُقِيم.

**- المجموعة الثّالثة: تَغْرِيبَة خَالِد أبو خَالِد[2]:**

تَخِذَ الشّاعر عِمَاد المُفَارَقة، المستندة إلى حِكْمة القالب التّاريخيّ؛ لاستلال المضمون والأثر؛ إسقاطًا على الحالة الفلسطينيّة، التي ألمح إليها بِبَوْحِ التّاريخ، انطلاقًا من ثورة البُرَاق (1929م)، مُعزّزًا هاتيك الأُطُر المضمونيّة بالإطار العنوانيّ المُشرِق بالمعنى، والتّغْريبة بوحيٍ من السّابق تجربة الذّات/ الشّاعر، الملتئمة بتجربة الجماعة/ الشّعْب، بقراءة التّاريخ وَفْقَ أقطابه **"المهلهل"** وَ**"سَيْف بن ذِي يَزَن"** وَ**"عَنْترة"** وَ**"هِلال"**، مع تخييل الحَدَث بحُضُور **"شَهْرَزاد في اللّيْلة الثّانِية بعد الأَلْف"**؛ والمقصد بيان الاغتراب الجَمْعيّ، ونقدٌ عميقٌ للحاكميّة العربيّة.

---

[1] يُنظَر: أبو خَالِد، **العَوْديسا الفلسطينيّة**، 1: 103- 153؛ وقد صدرت الطّبعة الأُولَى للمجموعة، عن جريدة الفَتْح، سنة (1971م)، نقلًا عن: الرّيشة، **مُعجَم شُعَراء فلسطين- جمع وتوثيق**، ص85.

[2] يُنظَر: **نفسه**، 1: 155- 270؛ وقد صدرت الطّبعة الأُولَى للمجموعة، عن دار الطّليعة في بَيْرُوت، سنة (1972م)، نقلًا عن: الرّيشة، **مُعجَم شُعَراء فلسطين- جمع وتوثيق**، ص85؛ وفي مضامين هٰذه المجموعة وأساليبها، يُنظَر: علُّوش، نَاجِي، تَغْريبة خَالِد أبو خَالِد، في: حَمْدان، محمَّد وَآخرون، **الشّاعِر خَالِد أبو خَالِد – دِرَاسَات وَشَهَادَات وَنَمَاذِج شِعْرِيّة**، ص46- 52.

**- المجموعة الرَّابعة: أُغْنية حُبّ عربيَّة إلى هَانُوي[1]:**

تقوم المجموعة الشِّعريَّة على استحضار التَّجربة الفيتناميَّة، في مقاومة احتلال السَّيِّد العالميّ، في خِضَمّ التَّساقُط العربيّ على أعتاب الخِطَابَات، دون الفِعْل المُعزَّز بحِكْمة الغَايَات، وحين يحضر التَّاريخ في قصيدتي "**عن أبي ذَرٍّ**" وَ"**عَوْدة السِّنْدباد**"، تتجلَّى قدرة الشَّاعر على استنطاق مُعِينات الإضاءة الواعية لثنايا المرحلة، بين متجاذبتي الرَّحِيل والعَوْدة، حين بدتا ناطقتين بِـ"**حَالَة اعترافٍ بالحُبِّ القَدِيم**"، وتمرُّدٍ مشروعٍ على أدعياء العُرُوبة، بِـ"**بيانٍ علنيّ ... في الدَّعْوة إلى كتابة منشورٍ**"، والموقف الفَصْل ليس له إلَّا "**الوُقُوف على الحدِّ الفَاصِل**".

**الجزء الثَّاني:**

**- المجموعة الأولى: الجَدَل في مُنتَصف اللَّيْل[2]:**

تحمل هٰذه المجموعة قيمة الاستظهار التّلقائيّ لأحداث ما بعد النَّكْسة، ممثَّلةً في مراوحة العُرُوبة مكانها بين الإقْدام والإحْجام، فضلًا عن تحجيم القُدْرة النِّضاليَّة، بحصار الثَّوْرة في مبتدأ آمالها، مع توثيقٍ شخصيّ لقراءة الذَّات أحداث أَيْلول، وَ"**الجَدَل في مُنتَصف اللَّيْل**" عنوان مرحلةٍ مُغْرَقَةٍ بحِكْمة التَّسْآل، وحِصَار الآمال، مع ارتدادٍ منطقيّ لمركزيَّة المكان "**سِيلَة الظَّهْر**"، في واقع "**تَغْريبة بني خَوْلة**"، وما صَدَحُوا به في تَرْحالهم من "**مواويل بحريَّةٍ**".

**- المجموعة الثَّانية: وشَاهِرًا سَلاسِلي أَجِيء[3]:**

---

[1] يُنظَر: **نفسه**، 1: 271- 360؛ وقد صدرت الطَّبعة الأُولَى للمجموعة، عن وزارة الإعلام العراقيَّة في بَغْداد، سنة (1973م)، نقلًا عن: الرّيشة، **مُعجَم شُعَراء فلسطين- جمع وتوثيق**، ص85.

[2] يُنظَر: أبو خَالِد، **العَوْديسا الفلسطينيَّة**، 2: 5- 66؛ وقد صدرت الطَّبعة الأُولَى للمجموعة، عن اتِّحاد الكُتَّاب العَرَب في دِمَشق، سنة (1974م)، نقلًا عن: الرّيشة، **مُعجَم شُعَراء فلسطين- جمع وتوثيق**، ص85.

[3] يُنظَر: **نفسه**، 2: 67- 125؛ وقد صدرت الطَّبعة الأُولَى للمجموعة، عن اتِّحاد الكُتَّاب والصّحافيّين الفلسطينيّين في بَيْرُوت، سنة (1974م)، نقلًا عن: الرّيشة، **مُعجَم شُعَراء فلسطين- جمع وتوثيق**، ص85.

تُناغِم العَنْونة سياق المرحلة، حين تُعبّر عن الاسترسال الحدثيّ، مُجلّلا بالتّوصيف الحاليّ، مع قيمةٍ غائيّةٍ في الجانب الإهدائيّ، المُكلّل بوحدة التّوجُّه لِـ**"نَاجِي علُّوش"**؛ ليكون الإشهار تحدّيًا، وتضحي السّلاسل قيد معنيين متضاربي الوجهة متوازيي الحُضُور؛ أحدهما المُواجَهة؛ والآخر مفهومٌ ضمنًا بضابط المُمَانَعة، وبين هذين النّطاقين استأنف الشّاعر **"مُواصَلة الخُرُوج على قَرَار التّصْفية"**، بِـ**"تَقَاسيم على البُندقيّة في لَيْلة العِيد"**، تأصيلًا **"للقِرَاءة الثّانية للنّقْش في الرّصَاصَة الأُولَى"**، واستنادًا إلى **"دَفْتر فدائيّ في قُوَّات العَاصِفة"**، و**"الغَرِيب يشدُّ سُقُوط الشّجَر في ضَاحِية المَدِينة"**، حيث **"قُرْطبة في هِجْرة صَقْر قُرَيش"**.

**- المجموعة الثّالثة: بِيسَان في الرّمَاد[1]:**

تجلّت وِقْفة الشّاعر على رماد المكان، في رُبُوع **"بِيسَان"**، بطلليّةٍ استدعت إلى المِخْيال ترامي الأَطْلال، التي تناثرت في مُحتَضن الوطن، بقصائد انتمت على حِقْبة السّبعينات، ما خلا قصيدته **"على الصّليب"**، المُهدَاة إلى الشّاعر الصّديق فَارُوق شُوشَة، ويظلُّ الارتداد الواعي إلى القالب التّاريخيّ عدّة الشّاعر في تَعْمية الوُضُوح، واستدعاء الغُمُوض الشّفِيف، وذلكم في قصيدته **"أبو محجن الثّقفيّ ... لا وَعْد ولا تَوْبة"**، والمُحتَكم إبانة النّقْد العميق للعُرُوبة، غير أنّ ملمح العَوْدة يأبى إلّا أن يظهر، والشّاعر توّاقٌ إليها، فيكون البَوْح بها جهارًا، بِـ**"العُبُور نهارًا"**.

**- المجموعة الرّابعة: أُسمّيكِ بحرًا ... أُسمّي يدي الرّمْل[2]:**

---

[1] يُنظَر: **نفسه**، 2: 127- 182؛ وقد صدرت الطّبعة الأُولَى للمجموعة، عن دار العَوْدة في بَيْرُوت، سنة (1978م)، نقلًا عن: الرّيشة، **مُعجَم شُعَراء فلسطين- جمع وتوثيق**، ص85.

[2] يُنظَر: أبو خَالِد، **العَوْديسا الفلسطينيّة**، 2: 183- 331؛ وقد صدرت الطّبعة الأُولَى للمجموعة، عن المَجْلس القَوْميّ للثّقَافة في المَغْرب، سنة (1990م)، نقلًا عن: الرّيشة، **مُعجَم شُعَراء فلسطين- جمع وتوثيق**، ص85؛ ولاستظهار السّمَات الأسلوبيّة المُميّزة لعنوان المجموعة، فضلًا عن عناوين قصائدها، يُنظَر: البُسْتانيّ، أ. د. بُشْرَى، شِعْريّة العَنْوَنة- أُسمّيكِ بحرًا .. أُسمّي يدي الرّمْل أنموذجًا، في: حَمْدان، محمّد وَآخرون، **الشّاعِر خَالِد أبو خَالِد – دِرَاسَات وَشَهَادَات وَنَمَاذِج شِعْرِيّة**، ص23- 39.

استقطب الشَّاعر لمجموعته البَحْر والرَّمْل، على سبيل التَّأسيس التَّرميزيّ للاغتراب الفلسطينيّ، الذي تَخِذَ إحدى وجهتين: البَحْر أو الصَّحراء، والزَّمن يمضي إلى آخر السَّبعينات، وصولًا إلى أواسط الثَّمانينات، وأمام وطأة الأحداث الجسيمة في "بَيْرُوت"، و"صَبْرا" و"شَاتِيلا"، لم يجد الشَّاعر سبيلًا إلى التَّنوير، إلَّا باستلال الحِكْمة من دَرْوِيش، في قصيدته **"رِحْلة المُتنبّي إلى مِصْر"**، معتملًا بالتَّبعيَّة الكلِّيَّة للأُمُومة، في قصيدة **"للسَّيِّدة الكَنْعانيَّة أرفع هٰذا النَّخْب"**، ومُتموضِعًا بين **"أَحْزان الأيَّام الأَخِيرة"** وَ**"تَوقُّعات الوِلادَة الثَّانِية"**، بنفسٍ شعريٍّ أفضى إلى تَطاوُل العبارة؛ انسجامًا مع طابع المرحلة، وفيها الاستجلاء العميق للألم بِـ**"مَرْثاةٍ على زُجَاج النَّافِذة"**، واستدعاء الأَمَل بِـ**"مَوْسم الصُّعُود إلى القَمَر"**.

**- المجموعة الخامسة: دَمِي نَخِيلٌ للنَّخِيل[1]:**

استُهِلَّت قصائد المجموعة بِـ**"العَوْديسا"**، العَتَبة العنوانيَّة لأعماله الكاملة، مُوشَّحةً بإهدائه إيَّاها لزوجته "سُهَيْلة"، والشَّاعر لم يكن خلوًا من أثرٍ استرجاعيٍّ للنَّفَس المَلْحميّ، للأصل اليُونانيّ الأوَّل، على صعيدي البِنَاء والمَضْمون، وحين تنتمي معظم قصائد المجموعة لأواخر الثَّمانيات حتَّى أواسط التِّسعينات، فإنَّها تُواكِب الانتفاضة الأولى وآثارها، موحيةً بموقف الشَّاعر من جدليَّة المُقَاومة والتَّسْوية، وقد بدا صدَّاحًا بتبنّيه القُطْب الأوَّل؛ إذ رثى حِكْمة الفنّ الثَّائِر بِـ**"مُغنَّاةٍ إلى نَاجِي العَلِي"**، واشتمل بعقيدة الفِدَاء للأرض الأُمُومة برمز خُصُوبتها، فكانت قصيدته **"دَمِي ... نَخِيلٌ ... للنَّخِيل"**، مستتبعًا المسير بنقدٍ جَمْعيٍّ عميقٍ إبَّان "أُوسْلو"، في قصائد: **"للفُصُول اعترافَاتُها"** وَ**"مَرْثيَّة الجِسْر الأَخِير"** وَ**"ودَاع .. هُوَ الوَقْت .."**؛ ليتجلَّى الإقرار بعدم الوُصُول إلى أهداف النِّضَال، في القصيدة التي لا تنتمي إلى الحَقْل الزَّمنيّ للمجموعة **"بكاءٌ ... على جسدٍ لم يصل – 2007م"**.

---

[1] يُنظَر: **نفسه**، 2: 333- 453.

**الجزء الثّالث:**

**- المجموعة الأولى: فرسٌ لكَنْعان الفَتَى[1]:**

ترتكز المجموعة الشّعْريَّة على الرَّمْز، في إحكام طَوْق العلائق الوحدويَّة بين الثَّوْريّ والأمّ/ الأَرْض، بحُضُور رَمْزها الفَرَس؛ لمقصد اطِّرَاح نَهْج التَّسْوية، وهو الذي امَّحى أثره الفاعل بناجز مبتدئه في الواقع، والأرض على ذٰلك جَائِزة من اتَّخذ الثَّوْرة نهجًا، والفِدَاء غايةً؛ أمَّا زمنيَّة المجموعة فتُقدِّم صورةً ائتلافيَّةً بين حِقَب السَّبعينات والثَّمانيات والتِّسعينات، والكلمة لم تزل تَرْتحل بارتحال صاحبها؛ فمن (**"العَاشِق والوَمِيض"**-إلى نَاجِي علُّوش صديقي/ بَيْرُوت/ 1974 – 1978م)، مرورًا بِـ (**"صَلاةٍ لزلزال المَسَاء الأَخِير"**-إلى بِيسَان طفلتي/ دِمَشق/ 1986م)، وصولًا إلى حقيقة المَشْهد في (**"شَمْسٍ عَلَى البَحْر" وَ"فَرَسٍ لكَنْعان الفَتَى"**/ دِمَشق/ 1992م).

**- المجموعة الثَّانية: رمحٌ لغِرْناطَة[2]:**

لمَّا كان التَّاريخ قابلًا لقراءةٍ أخرى، في واقع التَّماثُل البائن بين مضمون الحَدَث ودلالته، باتت "غِرْناطَة/ فلسطين" حاضرةً في تضاعيف الشِّعْر، بجامع الرَّحيل عن كُلٍّ، وأن يكون الرَّحيل ماثلًا في التَّهْجير، فهٰذا بعضٌ ممَّا أراد الشَّاعر، وحقُّ العَوْدة لم يزل رَهِين مفاوضاتٍ قُدِّرت نتائجها سلفًا، واستبانت واقعًا، وقصائد المجموعة تُوثِّق واقع السَّنوات (1994-1998م)، أمَّا جلُّ المُرَاد فيُشِير إلى الرَّحِيل عن المُقَاومة والبُندقيَّة، حينها يعوز الموقف من الشَّاعر الإبانة عن عظيم المُفَارقة **"رُمْحٌ لغِرْنَاطة ... سَارِية للحِدَاد"**، بتقديم الرُّمْح تَوسُّلًا لدفع النُّكُوص بسبيل القُوَّة، لٰكنَّ النَّبرة الشَّاكية الحزينة تلحُّ على الظُّهُور في

---

[1] يُنظَر: **نفسه**، 3: 5- 49؛ وقد صدرت الطَّبعة الأُولَى للمجموعة، سنة (1995م)، نقلًا عن: الرّيشة، **مُعجَم شُعَراء فلسطين- جمع وتوثيق**، ص85.

[2] يُنظَر: أبو خَالِد، **العَوْديسا الفلسطينيَّة**، 3: 51- 127؛ ويمكن الاطِّلاع على السِّمَات الأسلوبيَّة العامَّة للمجموعة في: جَمَال بك، كَمَال، رُمْح لغِرْنَاطة والشَّاعِر خَالِد أبو خَالِد، في: حَمْدان، محمَّد وَآخرون، **الشَّاعِر خَالِد أبو خَالِد – دِرَاسَات وَشَهَادَات وَنَمَاذِج شِعْرِيَّة**، ص12- 15.

قصائده: **"شَمْس رماديَّة ... مَطَر ... في الحَصَى"** وَ**"فَضَاء لأَجْراس المَنَافِي"** وَ**"جِدَاريَّة لقلبٍ حزينٍ"** وَ**"شِتَاءٌ لم يجد وقتًا"**، في الحين الذي يلتمس الشَّاعر فيه بعض دفقات الأَمَل في قصيدتيه: **"قِرَاءة في كِتَاب الزَّبَد"** وَ**"لا تتركيني وحيدًا ... وَلا تتركيني"**.

**- المجموعة الثَّالثة: مُعلَّقةٌ على جِدَار مُخيَّم جِنين[1]:**

تُقرَأ قصائد المجموعة الشِّعريَّة في ضوء نتائج السَّلام، وهي الممتدَّة زمنيًّا بين (1999-2002م)؛ أمَّا المُؤشِّرات المعنويَّة فكاشفةٌ نهج الشَّاعر في النَّقْد المُعزَّز بسبيل الرَّمْز ولُغَة المَجَاز، من قبيل **"ضَبَاب على بُوصَلة القَلْب"** وَ**"إيقَاعَات لجَنَازة الحَلْوَى"** وَ**"وَرَق لمَائِدة الهَوَاء"**، مع التماس قدرٍ من الحسِّ النِّضاليِّ في الرَّفيق العربيِّ بِـ**"تَلْويحة إلى أبو عَلِي يَاسِين"**، فضلًا عن إرادة الصُّمُود في (**"تَفْصيل من لَوْحة الصُّعُود إلى العِرَاق"**/ بَغْداد/ 2001م)، غير أنَّ **"المُعلَّقة"** تدلُّ على مركزيَّة الحَدَث المُدوِّي في أزقَّة مُخيَّم جِنين، في مستهلِّ انتفاضة الأَقْصى، وقد وثَّقه الشَّاعِر سنة (2002م)، في قراءةٍ مُوازِيةٍ لرحيل الحياة عن الأَرْض في رُبُوع الطَّلَل.

**- المجموعة الرَّابعة: فَتْحي ... مسرحيَّةٌ شعريَّةٌ[2]:**

ارتأى خَالِد أبو خَالِد كَسْر حاجز الجُنُوسة، في تقاطع الشِّعْر مع القالب المسرحيِّ، والغاية مَسْرَحة القَصِيد بأحداث الواقع الجارية حتَّى عام (1970م)، من خلال الاستناد الواعي إلى رمزيَّة الشُّخُوص، ودلالة اللُّغَة، في البَوْح بمكنون المَفْضُوح، وقد أضحت المُؤامَرة وَعْدًا ثُمَّ نَكْبةً فنَكْسةً، والشَّاعر لم يزل يُعرِّض بأقطاب المُؤامَرة العالميَّة، ممثَّلةً في بريطانيا ثُمَّ أمريكا، وأحلافهما من أدعياء العُرُوبة؛ أمَّا أمريكا فقد قامت على أنقاض حَضَارة الهُنُود الحُمْر، وحوَّلتهم إلى متحفٍ تاريخيٍّ؛ وأمَّا علائم الإشارات الموحية بالمُؤَامرة، فكفيلةٌ بكشف رغائب سادة الكَوْن، في إقامة بنيان الكَيَان الدَّعيِّ، بدافع اتِّحاد الوجهة والغاية، وليس من سبيلٍ لدفع المُؤَامرة إلَّا بتمثُّل نَهْج الفِدَاء.

---

[1] يُنظَر: **نفسه**، 3: 129- 182.

[2] يُنظَر: **نفسه**، 3: 183- 254.

**- المجموعة الخامسة: قَتَلْنا الصَّمْت[1]:**

أجرى الشَّاعر الخطاب على النَّهْج السَّابق في مَسْرَحة الكلمة الشِّعريَّة، محتكمه في ذلكم عنونة المرحلة بالقَتْل الثَّوريّ الجَمْعيّ، للصَّمْت الدَّوْليّ والتَّخاذُل العربيّ، بتراتب الفُصُول على جهة التَّرميز، بدءًا من النَّكْبة **"الحَدَث"**، ثُمَّ كان **"القَتِيل"** وَ**"الصَّدَى"** وَ**"الانتظار"** وَ**"اللِّقَاء"**، ليكون المُنتَهى بانطلاق الثَّوْرة/ **"المَسِيرة"**، التي أسهم الشَّاعر فيها بالكَلِمة والبُندقيَّة، بائتلافهما معًا في قَلَمِه وبَارُوده بين الثُّوَّار، في مُعَسكرات الأَغْوار.

**- المجموعة السَّادسة: الرَّحيل باتِّجاه العَوْدة[2]:**

نَهَجَ الشَّاعر نَهْجَ المَسْرَحة كما هو الشأن فيما سبق؛ انسجامًا مع مسرحة المقاومة زمانًا وَمكانًا، وَأحداثًا وشخوصًا، في أربعة مشاهد، تُرِك أوَّلها غفلًا من العنونة، وجاءت الأخرى تَتْرَى **"مَدِينة الأَنْهُر السَّبْعة"** وَ**"الصَّحْراء وَالمَدِينة الجَدِيدة"** وَ**"الطُّرُقات"**، وكُتِبت في الأَغْوار أواخر عام (1969م)، وفي تضاعيفها جرى الحوار بين مفاتيح الوجدان الجَمْعيّ الفلسطينيّ، في زمن ما بعد النَّكْسة، وهي على ذلك: **"الإِنْصَات"** وَ**"الرُّؤْيا"** وَ**"الصَّوْت"** وَ**"الحُلُم"** وَ**"النَّدَم"** وَ**"الذِّكْرى"** وَ**"الوَعْي"** وَ**"الرَّعْشة"** وَ**"السُّؤَال"** وَ**"الجَوَاب"**؛ ائتلفت جميعًا لإبانة المُفَارَقة العنوانيَّة الرَّئيسيَّة، حين يكون الرَّحِيل باتِّجاه العَوْدة.

**- المجموعة السَّابعة: قَصَائِد جَدِيدة[3]:**

تحضر القصيدة في بُعْدها التَّأكيديّ على نهج المُواجَهة، معتلقةً بالنَّقْد الدَّاخليّ والخارجيّ، في أُفُقٍ تُجلِّله صراعات الفِكْر بين أقطاب الحَضَارة، بعد دُخُول النِّطاق الكَوْنيّ سياق مُؤثِّرات القُوَّة والهَيْمنة والاستبداد، في الألفيَّة الميلاديَّة الثَّالثة، أمَّا وقد دخل العَسْكر بَغْدَاد، فقد وقف الشَّاعر على **("تَفْصيلٍ آخرَ من لَوْحة الصُّعُود إلى العِرَاق"/2005م)**، تلك اللَّوْحة التي بدأ نسجها في مجموعته **"مُعلَّقة على جِدَار مُخيَّم جِنين"**، ثُمَّ انبرى يُقلِّب في شقاء الذَّات بقِنَاع المعرِّيّ؛ لغاية المُرَاجعة والاستبصار والتَّأمُّل،

---

[1] يُنظَر: أبو خَالِد، **العَوْديسا الفلسطينيَّة**، 3: 257- 268.

[2] يُنظَر: **نفسه**، 3: 269- 301.

[3] يُنظَر: **نفسه**، 3: 303- 329.

في سائر ما كان، وما هو كائنٌ، وعليه ابتدع (**"تَقَاسِيم عَصْرِيَّةً على مُكَابَدات المعرِّيّ"**/ 2001-2006م)، ولمَّا كانت المعضلة حضاريَّةً، تمسُّ صميم المُواجَهة المُصطَنعة من الشَّمَال ضدَّ الجَنُوب، خرج الشِّعْر بأحلام الضُّعَفاء في **"نِدَاء الجَنُوب"**.

**المبحث الثَّالث: مُقَاربةٌ وَصْفيَّةٌ للمَضَامِين الشِّعْريَّة الرَّئيسيَّة:**

انتظمت المضامين الشِّعريَّة ضمن أُطُرٍ رئيسيَّةٍ ثلاثةٍ، شكَّلت في مجملها مشروع الشَّاعر التَّنويريّ، المُعزَّز بتكنيكات الوَصْف والإِضَاءة والنَّقْد، وهو الجَامِع بينها جميعًا في قوله: "وهٰذه فلسطين شاسعةٌ .. وواسعةٌ .. وهي هي بلادنا التي نُعطِيها .. فتحملنا إلى الكَوْن .. مُذكِّرةً أنَّها الاسم الحَرَكيُّ له وللوَطَن العربيّ"[1]، غير أنَّ للخِطَاب كثرةً كاثرةً من التَّصوُّرات الفِكْريَّة، التي يمكن إجمالها-ضمن التَّأطير السَّابق-على النَّحو الآتي:

**المطلب الأوَّل: المضامين الوطنيَّة:**

يُغطِّي الشِّعر الوطنيُّ جُلَّ أعمال الشَّاعر، الذي استبصر بحسِّه المُرْهف سائر تجلِّيات القضيَّة، أحداثًا وشُخُوصًا، في ارتباطها جميعًا بفَضَاء المكَان، ودائرة الزَّمَان، باندغامٍ واضحٍ بين الذَّاتيّ والوطنيّ، أمَّا القُيُود الكلِّيَّة الضَّابطة للمضامين الرَّئيسيَّة في هٰذا الشَّأن، فيمكن إجمالها في الحدث المِفْصل (الثَّوْرة/ النَّكْبة/ النَّكْسة)، والنَّفْي، وحُلُم العَوْدة، وكنعانيَّة الأَرْض، وتِيه الشَّعْب بين الأَلَم والأَمَل، والسَّلام في ظِلِّ الواقع، فضلًا عن إهداءاته المتداخلة مع الموضوعات السَّابقة.

**المسرد الأوَّل: الأحداث المِفْصليَّة:**

عندما نُقلِّب في ثورتي البُرَاق والقَسَّام، وحدثي النَّكْبة والنَّكْسة، فإنَّنا نلمح سيطرة الفِكْر المِفْصليّ على الخِطَاب الشِّعريّ، الذي سعى مُقصِّده لترسيخ حُضُور الحَدَث المِفْصل، في الذَّاكرة الجَمْعيَّة الفلسطينيَّة، وهو الحاضر قبلًا بتلقائيَّةٍ فائقةٍ، على ما فيه من أثرٍ بالغٍ على الفَرْد والجَمَاعة.

---

[1] أبو خَالِد، **العَوْديسا الفلسطينيَّة**، (الغِلاف الخَلْفيُّ للعَوْديسا).

ويُشِير الشّاعر إلى الثُّلاثاء المُصطبِغ بالدِّمَاء القَانِية، الذي أعدمت فيه بريطانيا ثلاثةً من أبطال ثَوْرة البُرَاق (1929م)، مستحضرًا أجواءها، موصولةً بثَوْرة القَسَّام (1936م)، فيقول في قصيدة "**المهلهل**"، من مجموعة "**تَغْريبة خَالِد أبو خَالِد**"[1]:

**"يا زبدَ البحارِ ذهبتَ/ وانزرعتْ على قلبي/ وفي الشُّطآن .. قنبلةٌ/ ومشنقتي على عكَّا/ ثلاثائي رمتْ أردانها حولي/ وضمَّتني/ فهزَّتني على شعبي -/ وغضبةُ تغلبٍ/ ما بينَ بئرِ السَّبعِ/ والصَّرفندِ/ .../ ميداني فسيحٌ/ واسعُ الأرجاءِ/ يسبقُني رصاصي/ يسبقُ الكلماتِ/ شاهدتي-أنا القسَّامُ –/ شاهدتي/ على السَّهل الذي يمتدُّ في يَعْبَدْ/ ...".**

وللقسَّام في مُحتَضن الخِطَاب الشِّعريّ صدره الملتئم بالمَوْت، على جهة استدعاء الحَنِين إلى الأُبُوَّة الثَّائِرة، المرتحلة صَوْب مَقَام الشُّهَداء، فيقول الشَّاعر في قصيدة "**لا تتركيني وحيدًا .. ولا تتركيني**"، من مجموعة "**رُمْح لغِرْنَاطة**"[2]:

**لا تسافرْ كثيرًا ../ أسافر في روحِ / يَعْبَدْ/ كلُّ البيوتِ .. سواءٌ .. ولا بيتَ في البيتِ/ نذهبُ – فادخلْ إلى آخرِ الأغنياتِ ../ أو استنطقِ الرَّملَ .. فالموتُ .. موتانِ ../-موتي .. وموت أبي ..".**

وتظلُّ النَّكْبة حاضرةً في مِخْيال الشَّاعر النَّاطق باسم التَّغْريبة، على ما في السَّنَوات من تَقادُمٍ، فيُفرِد للعَرُوس الضَّائِعة من مساحة الذِّكْرى فَيْض الشِّعْر الدَّفَّاق بنَهْج الفِدَاء، قائلًا في قصيدة "**سِيلَة الظَّهْر**"، من مجموعة "**الجَدَل في مُنتَصف اللَّيْل**"[3]:

**"يا عروسي بعد عشرينَ رحيلًا/ ورحيلًا/ ورحيلْ/ لا تلوميني/ ففي خَفْقِ الخُطى عشنا على مَرِّ السِّنينْ/ نتحدَّى السَّوطَ بالكلمةِ/ والحربةَ بالصَّدرِ المُعرَّى/ ونموتْ".**

---

[1] **نفسه**، 1: 160، 161.

[2] أبو خَالِد، **العَوْديسا الفلسطينيَّة**، 3: 97، 98.

[3] **نفسه**، 2: 18، 19.

ويستشرف الشَّاعر من خَسَارة الحُلُم أَمَل النَّصْر، مشيرًا إلى فاجعتي النَّكْبة والنَّكْسة، ليقول في قصيدة **"تَلْويحَة للوَجْه الآتِي"**، من مجموعة **"أُسمّيكِ بحرًا ... أُسمّي يدي الرَّمْل"**[1]، [2]:

**"إذا حيَّرتني المفاتيحُ أو واجهتني الغرابةُ/ واردٌ نبعها ../ والتُّرابَ/ ولا أنتحي فندقًا/ وأنامُ على الأرصفةْ/ حالمًا بالبلادِ التي خسرتْ نفسها مرَّتينْ/ مرَّةً عند شطآنها ../ مرَّةً في الجبال ../ حالمًا بتلالٍ من الخبزِ .. والأسلحةْ ../ حالمًا أنَّها ربحتْ ..".**

**المسرد الثَّاني: النَّفْي والتَّرْحال (التِّيه):**

كابد الشَّعْب الفلسطينيُّ-والشَّاعر نَبْضه المُتَّحِد بآلامه، فضلًا عن آماله-شَقَاء الرَّحِيل والتِّيه، في المنافي المترامية، بين الفَيَافِي والقِفَار، ومدائن البِحَار، وما بين الخَيْمة والمُخيَّم، صاغ الشِّعْر حكاية المُعذَّبين في الأَرْض، بشُرُور السَّيِّد الكبير، وتَخاذُل الأخ النَّصِير، حتَّى لكأنَّها التَّغْريبة المُسطَّرة في ثنايا القصيدة حرمانًا وأسًى، واغترابًا ولظًى.

ويُفرِد الشَّاعر لمأساة المَنْفى قصيدة **"الرِّجَال والبَحْر"**، من مجموعة **"وِسَام على صَدْر المِيلِيشيَا"**، المُهدَاة إلى شُعَراء الأَرْض المُحتلَّة، قائلًا تحت عنوان **"سنّ الرُّشْد"**[3]:

**"كبرنا يا أحبَّ رفاقنا الشُّعراءِ/ فتَّحنا العيونَ العميَ/ أبصرنا تلالَ الخبزِ والبارودَ دونَ أصابعِ الجيّاعِ/ تحتَ أظافرِ القَتَلةْ/ عرفنا غربةَ المنفى/ وعانينا ..**

---

[1] **نفسه**، 2: 204، 205.

[2] للاطِّلاع على نماذج أخرى، يُنظَر: أبو خَالِد، **العَوْديسا الفلسطينيَّة**، 1: 87- 94، (قصيدة "البُكَائيَّة الواحدة والعشرون لشهرٍ اسمه أيَّار"- مجموعة "وِسَام على صَدْر المِيلِيشيَا")؛ ويُنظَر: **نفسه**، 2: 345، 346، (من قصيدة "العَوْديسا"- مجموعة "دَمِي .. نَخِيل .. للنَّخِيل")؛ ويُنظَر: **نفسه**، 2: 315، 316، (من قصيدة "مَرْثاة على زجاج النَّافذة"- مجموعة "أُسمّيكِ بحرًا .. أُسمّي يدي الرَّمْل ..")؛ ويُنظَر: **نفسه**، 3: 324، (من قصيدة "تَقَاسِيم عصريَّة على مُكَابَدات المعرِّيّ"- مجموعة "القَصَائد الجَدِيدة").

[3] **نفسه**، 1: 41.

**صدامَ العينِ بالمخرزْ/ وغمَّسنا بماءِ النَّارِ لقمتنا فعفناها/ وعشنا وقفةَ الحرمانِ في السَّاحاتِ والأبوابِ/ ...".**

ويغدو الرَّحيل غِذَاء المَنَافِي الخادعة بالعَوْدة بعد حينٍ، ليُصرّح الشَّاعر بتَقادُم السِّنين، دون إحْراز مُبتَغى الحَنِين، فيقول-من عُمْق تجربته الذَّاتيَّة-في قصيدة **"من دَفْتر 1966م"**، من مجموعة **"نُقُوش على مسَلّة الأشرفيَّة"**[1]:

**"- كان يا ما كان/ مسافرٌ يرودُ أبحرَ المحالْ/ يرسو على أكتافِ شاطئٍ/ يظنُّهُ الميناء/ لحظة/ ويختفي الميناءْ/ حوتًا كان/ غاصَ في مجاهلِ القرارْ/ وينشرُ المسافرُ الغريبُ قلعه/ لرحلةٍ تطولْ/ في اللَّيل/ والبحارِ/ والجزائرِ البعيدةِ المنالْ/ حلمهُ / ووعدهُ/-يا أنتِ/ أيّ رحلةٍ إليكِ لا تشقْ".**

ويضحي الرَّحيل تَرْحالًا من منفًى إلى آخرَ، والشَّاعر يجأر بحقيقة انتفاء الوُصُول، في قصيدته**"ضَبَاب على بُوصَلة القَلْب"**، من مجموعة **"مُعلَّقة على جِدَار مُخيَّم جِنين"**[2]،[3]:

---

[1] أبو خَالِد، **العَوْديسا الفلسطينيَّة**، 1: 111، 112.

[2] **نفسه**، 3: 135.

[3] لاستظهار نماذج أخرى في النَّفْي، يُنظَر: **نفسه**، 1: 39- 48، (قصيدة "الرِّجَال والبَحْر"- مجموعة "وِسَام على صَدْر المِيلِيشيَا")؛ ويُنظَر: **نفسه**،1: 49، (قصيدة "عَصْر البَحْر"- مجموعة "وِسَام على صَدْر المِيلِيشيَا")؛ ويُنظَر: **نفسه**، 1: 155- 270، (مجموعة تَغْريبة خَالِد أبو خَالِد)؛ ويُنظَر: **نفسه**، 1: 288- 310، (قصيدة "أُغْنية حبّ عربيَّة إلى هَانُوي"- مجموعة "أُغْنية حبّ عربيَّة إلى هَانُوي")؛ ويُنظَر: **نفسه**، 2: 53- 57، (قصيدة "تَغْريبة بني خَوْلة"- مجموعة "الجَدَل في مُنتَصف اللَّيْل")؛ ويُنظَر: **نفسه**، 2: 58- 66، (قصيدة "مَوَاوِيل بحريَّة"- مجموعة "الجَدَل في مُنتَصف اللَّيْل")؛ ويُنظَر: **نفسه**، 2: 115- 125، (قصيدة "الغَرِيب يشدُّ سُقُوط الشَّجَر في ضَاحِية المَدِينة"- مجموعة "وشاهرًا سلاسلي أجيء")؛ ويُنظَر: **نفسه**، 2: 176، 177، (من قصيدة "العُبُور نهارًا"- مجموعة "بِيسَان في الرَّمَاد")؛ ويُنظَر: **نفسه**، 2: 229- 244، (قصيدة "أُسمّيكِ بحرًا .. أُسمّي يدي الرَّمْل")؛ ويُنظَر: **نفسه**، 2: 282، 283، (من قصيدة "رِسَالة إلى لَيْلى الجَنُوب"- مجموعة "أُسمّيكِ بحرًا ... أُسمّي يدي الرَّمْل")؛ ويُنظَر: **نفسه**، 3: 27- 33، (قصيدة "شَمْس على البَحْر"- مجموعة "فَرَس لكَنْعان الفَتَى")؛ ويُنظَر: **نفسه**، 3: 114- 117، (من قصيدة "جِدَاريَّة .. لقَلْبٍ حزينٍ"- مجموعة "رُمْح لغِرْنَاطة").

**"اللَّيل مُشْتَبِكٌ .. أرى الرُّؤيا نباتًا ../ فالرِّمالُ تحرَّكت ../ وخرجتُ من وجعِ المنافي ../ لم أصلْ ../ وصلَ الغزاةُ ../ فهل خرجتِ على المنافي .. هل وصلتُ/ إلى المرافي ..".**

**المسرد الثَّالث: حُلُم العَوْدة:**

رأينا ملمح العَوْدة يلحُّ على الشَّاعر بالتَّبدِّي في كُلِّ قصيدٍ، وهو المُعنَّى بعذابات الاغتراب بين عواصم العُرُوبة السَّاكنة، ولا فِكَاك من أَسْر ذَوِي القُرْبى إلَّا بالعَوْدة، التي أسَّس الشَّاعر لحقِّها المشروع، بالكلمة والمَوْقف والصُّورة وفَيْض الشُّعُور، ولمَّا كان الوُصُول إلى غير الوُصُول، قرأ الشَّاعر واقع ما بعد التَّسْوية بجسدٍ تأرجحت أمانيه **"بَيْن بَيْن"**، فلا هو في مُحتَضن الوَطَن، ولا هو في حُكْم المُواطِن، في دولٍ أبت إلَّا أن تمنحه وِسَام **"اللاّجئ الفلسطينيّ"** !

ويحضر التَّناصُّ على جهة المُؤدَّى العكسيّ، مع تفَّاحة آدم، في مقطع **"العَوْدة"**، من قصيدة **"عُرْس الأَرْض"**، الكائنة في مجموعة **"وِسَام على صَدْر المِيليشيَا"**، فيقول الشَّاعر[1]:

**"لم نأكلْ تفاحةَ آدمْ/ لٰكنْ أقسمنا/ أن نُحيي الأرضَ/ عناقًا/ حُبًّا/ ونصيرُ لها أوفى بشرٍ/ نأكلُ خبزَ القمحِ المعجونِ بشوقِ الأرضِ لمن هجروها/ زمنًا لم تزهرْ فيهِ/ ولم تمنحْ سنبلةً يقطفها الجاثي في الجنَّةِ/ والجاهلُ أنَّ الجنَّة ما كانتْ إلَّا في الأرضِ/ الأرضِ/ حبيبتنا/ نحتملُ اللَّعنةَ نقبلُ بالحرمانِ من النَّهرينِ/ ونهبطُ .. نبدأُ من حرمونْ/ يسعدنا أنَّ الأرضَ تلقَّتنا صدرًا في الصَّدرِ/ أحبَّتنا/ ما قالت لا/ في وجهِ أغاني الحُبّ/**

**- سقطتْ أجنحةُ الغربةِ والتَّهويمِ/ وعاشتْ أمجادُ الأقدامِ/ وعاشَ الدَّربُ/ وعاشَ الشَّوقُ/ لعينيكِ النَّاصرةُ القدسُ/ للثَّغرِ/ وللشَّفقِ البحريّ وللسِّيلة/**

[1] أبو خَالِد، **العَوْديسا الفلسطينيَّة**، 1: 55- 57.

**جبهتكِ الصَّلدةُ والمفروشةُ ألقًا من جبلِ النَّارِ/ ومن أسنانِ مقاتلْ/ أخطأنا/ أنتِ الجنَّةُ في عينيك "حواكير الشَّمس" ومطلعُها/ وحصادُ الشَّمسْ ..".**

ولمَّا كان سُقُوط المَدِينة إيذانًا بالرَّحِيل، ألفينا الشَّاعر يُوثّق لحدث التَّهْجير على السَّبيل القَسْريّ، برمزيَّة الخَيْمة لانتظار العَوْدة، فيقول في قصيدة **"الغَرِيب يشدُّ سُقُوط الشَّجَر في ضَاحِية المَدِينة"**، من مجموعة **"وشاهرًا سلاسلي أجيء"**[1]، [2]:

**"يسقطُ بين اللَّيلِ والنَّهارِ الزَّمنُ الخمريُّ/ والسُّؤالُ .. خيمةٌ ثقيلةٌ تجثمُ فوقَ موعدي/ يسقطُ هٰذا الشَّجرُ الأخضرُ/ والزَّيتونُ/ والأطفالُ/ والظِّلالُ/ والجدرانُ/ فوق قامتي الشَّقيَّةِ السِّماتِ/ اشتعلَ المدارُ/ وانتظرتُ/ في ضاحيةِ المدينةِ ../ استقطبني الإسمنتُ/ صرتُ ميتًا/ وكانَ الخشبُ الذي يحملُني يئنُّ/ في ضاحيةِ المدينةِ .. انتظرتُ/ كانَ الفرحُ طيرًا مرهقًا ينامُ بين شفتي والشَّفقِ/ الحزينِ/ ساكنًا/ منزويًا .. تحتَ عقاربِ السَّاعاتِ/ كان بائعُ الفستقِ قادمًا من ذكرياتِ هربِ العبيدِ/-.. آهِ .. حيفا/ سقطَ الميناءُ تحتَ بيرقِ الغزاةِ/ هاجرَ النَّورسُ/ آهِ .. عبثًا في الهجرةِ القديمةِ انتظرتُ أن ألقاكِ .. أن/ ولم أزلْ/ أسمعُ بين الصَّمتِ والكلامِ الصَّوتَ - في دفاتري - الذي افتقدتهُ/ في زمنِ المنفى../ ...".**

---

[1] أبو خَالِد، **العَوْديسا الفلسطينيَّة**، 2: 115، 116.

[2] للوقوف على نماذج أخرى في مضمون العَوْدة، يُنظَر: **نفسه**، 1: 25- 27، (من قصيدة "بِطَاقَات للعِيد"- مجموعة "وِسَام على صَدْر المِيليشيَا")؛ ويُنظَر: **نفسه**، 2: 376، (من قصيدة "مُغنَّاة إلى نَاجِي العَلِي"- مجموعة "دَمِي .. نَخِيل .. للنَّخِيل")؛ ويُنظَر: **نفسه**، 2: 292، (من قصيدة "أَحْزَان الأَيَّام الأَخِيرة"- مجموعة "أُسمّيكِ بحرًا ... أُسمّي يدي الرَّمْل")؛ ويُنظَر: **نفسه**، 2: 335- 375، (قصيدة "العَوْديسا"- مجموعة "دَمِي .. نَخِيل .. للنَّخِيل")؛ ويُنظَر: **نفسه**، 3: 269- 301، (مجموعة "الرَّحِيل باتِّجاه العَوْدة")؛ ويُنظَر في سَيْطرة هَاجِس العَوْدة على قصائد المجموعة الشِّعْريَّة **"دَمِي .. نَخِيل .. للنَّخِيل"**: أَحْمد، بَدْر إِبْرَاهيم، هَاجِس العَوْدة إلى الأَرْض في "دَمِي .. نَخِيل .. للنَّخِيل"، في: حَمْدان، محمَّد وَآخرون، **الشَّاعِر خَالِد أبو خَالِد – دِرَاسَات وَشَهَادَات وَنَمَاذِج شِعْريَّة**، ص58- 63.

**المسرد الرَّابع: الثَّوْرة:**

ولم يزل نَهْج الثَّوْرة ماثلًا في عَبَقِ الخِطَاب، المُحمَّلة نسائمه بالحَنِين إلى الوَطَن القَرِيب البَعِيد، والشَّاعر في ائتلافٍ مع الحِلْف النِّضاليّ، على ثرى التُّرَاب المُقدَّس وفي أكنافه، وعلى مرمى بندقيَّةٍ من حُدُوده المُصطَنعة بأمرٍ دوليٍّ وإقرارٍ عربيٍّ، ومن انطلاق الثَّوْرة، وأحداث أَيْلول، وحصار بَيْرُوت، والانتفاضتين الأُولَى والثَّانِية، ابتنى الشَّاعر نهجًا رافضًا رُؤَى التَّسْوية، مُجلِّلًا بنَقْد الإطارين الوطنيّ والعربيّ، على نحوٍ لاذعٍ.

ونلمس حُضُور النَّهْج الثَّوْريّ مقترنًا بالحَدَث الجَلَل في نَكْسة (67)؛ إذ يقول الشَّاعر في ختام قصيدة **"كَلِمَات من البُعْد الرَّابِع"**، من مجموعة **"وِسَام على صَدْر المِيلِيشيَا"**[1]:

**"العهدُ أن نقاتلَ التِّنينَ/ والغيلانَ والأفعى/ وأن نُغيِّبَ الظَّلامَ/ أن نمدَّ واديَ الدَّمِ قنطرةْ/ وأن نُروِّضَ الإعصارَ/ أن نبستنَ الرَّمالَ/ أن نُسخِّرَ الفولاذَ في ذرى الجبالْ/ أن نقمقمَ الأرصادَ/ أن نشقَّ الدَّربَ للأجيالِ/ فلتمرَّ... فلتمرْ".**

وتحضر البُندقيَّة في تضاعيف الشِّعْر؛ لتكشف عن سبيل الشَّاعر في الاستمساك بنهج المُقَاومة، ورَفْض نُكُوص السُّقُوط؛ فيقول في قصيدة **"تَقَاسِيم على البُنْدقيَّة في لَيْلة العِيد"**، من مجموعة **"وشاهرًا سلاسلي أجيء"**[2]، [3]:

---

[1] أبو خَالِد، **العَوْديسا الفلسطينيَّة**، 1: 33، 34.

[2] **نفسه**، 2: 93، 94.

[3] يُنظَر في مضامين الثَّوْرة: **نفسه**، 1: 95- 102، (قصيدة "وِسَام على صَدْر المِيلِيشيَا"- مجموعة "وِسَام على صَدْر المِيلِيشيَا")؛ ويُنظَر: **نفسه**، 2: 67- 125، (مجموعة "وشاهرًا سلاسلي أجيء")؛ ويُنظَر: **نفسه**، 2: 245- 263، (قصيدة "يا مِيجَانا صبرًا .. يا مِيجَانا يا رِيم- مجموعة "أُسمِّيكِ بحرًا ... أُسمِّي يدي الرَّمْل")؛ ويُنظَر: **نفسه**، 2: 298، (من قصيدة "أَحْزَان الأيَّام الأَخِيرة"- مجموعة "أُسمِّيكِ بحرًا ... أُسمِّي يدي الرَّمْل")؛ ويُنظَر: **نفسه**، 3: 20، (من قصيدة "صَلاة لزلزال المَسَاء الأَخِير" – مجموعة "فَرَس لكَنْعان الفَتَى)؛ ويُنظَر: **نفسه**، 3: 163- 174، (قصيدة "مُعلَّقة على جِدار مُخيَّم جِنين"- مجموعة "مُعلَّقة على جِدار مُخيَّم جِنين")؛ ويُنظَر: **نفسه**، 3: 183- 254، (فَتْحي ... مسرحيَّة شعريَّة).

**"آهِ .. أيَّتها البندقيَّةُ فَلْينسَني جسدي إنْ نسيتكِ/ هٰذا ذراعي يحملُ وشمكِ/ والبحرَ/ تلكَ حدودي ../ ورائحةُ البرتقالِ دليلي/ وأضربُ في الرَّملِ ../ إنّي أناديكِ باسمكِ سِرًّا ../ وأعرفُ أنّي أخاطرُ .../ هٰذا زمانٌ تخلَّفَ فيهِ الذين أضلّوكِ عنّي/ وأطبعُ فوقَ جبينِك .. اسمي ../ وقُبلةْ ../ .../ نَذْري أنْ أجمعَ الطَّلقات التي خلَّفتها / المعاركُ فارغةً/ ثُمَّ أملأها وأغنّي/ على وترٍ شديدٍ بين جدائلِ يافا .. وعمَّانَ/ ..."**.

**المسرد الخامس: الأَرْض/ الأُمّ:**

تمركزت الأَرْض/ الأُمُّ في لُبِّ **"العَوْديسا"**، منبئةً عن اعتلاقها بمطامح الشَّعْب المُرتحِل إلى المَجْهول، وقد كانت في القصيدة امرأةً افتضح الشِّعْر تَولُّه أحلام الشَّاعر بها، وحنينه التَّوَّاق للاتِّحاد معها، على أرض السَّيِّدة الكنعانيَّة، ذات الجُذُور الضَّاربة في التَّاريخ قُدْمَةً وأَصْلًا.

وتُمثِّل قصيدة **"للسَّيِّدة الكنعانيَّة أرفع هٰذا النَّخْب"**، من مجموعة **"أُسمِّيكِ بحرًا ... أُسمّي يدي الرَّمْل"** الأُمُومة الكَوْنيَّة بثُنَائيَّة التَّجلِّي، بوصفها إلٰهة **"الفَرَح"** وَ**"المَأْسَاة"**، حيث يقول الشَّاعر[1]:

**يا سيِّدةَ الفرحِ .. ويا سيِّدةَ المأساةِ .../ امتلأت كفّي بالعسلِ الجبليّ .. وبالضّوءِ الأسمرِ ../ يا سيِّدةَ الضّوء ../ اندفقي .. وأضيئي الأغوارَ ../ الشُّطآنَ ../ وبيسانَ ../ العتمةُ قاتلةٌ .../ بعضُ الضّوءِ .. وأطلع الأحباب دليلًا في الكتبِ ../ وفي الأرضِ ../ وفي النَّاسِ ../ ونارًا .../ يا سيِّدةَ النَّارِ ../ الفولاذِ ../ الصَّخرِ ../ وسيِّدةَ الشَّجرِ المترعِ بالخمرِ الكنعانيَّةِ ..."**.

وأسَّس الشَّاعر لمركزيَّة الحُضُور الأُموميّ، في اللَّوْحة الشِّعريَّة النَّاطقة بظَاهِر المُتَناقِضات، وفيها من التَّماثُل ما يدعو إلى الصُّدُور عن موقفٍ واحدٍ، يقرُّ بالتَّمَاهِي المطلق

[1] أبو خَالِد، **العَوْديسا الفلسطينيَّة**، 2: 216، 217.

في أَرْض الأُمُومة، فقال في قصيدة **"العَوْديسا"**، من مجموعة **"دَمِي.. نَخِيلٌ.. للنَّخِيل"**[1]، [2]:

**"الشَّمالُ أنتِ / الشَّرقُ والغربُ / المرتكَزُ والأفقُ / النَّهارُ / واللَّيلُ / النَّهرُ / والبحرُ / الأرضُ / والهواءُ / النَّاسُ / والعذابُ / أنتِ / فلسطين في الرُّوحِ / والجسدِ / في الفصولِ أنتِ تقومينَ / في الحضورِ والغيابِ / أنتِ لا تموتينَ / والوعدُ لا يموتُ والغراسْ / وأذكرُ كنتِ .. أنَّكِ أنتِ .. وأنّي أنا الآنَ أنتِ ../ وأنتِ أنا .. أنَّنا زمنٌ .. ومكانٌ .. وعشقٌ .. / أُوزِّعكِ الآنَ خبزًا .. هواءً .. وزيتًا ../ ...".**

**المسرد السَّادس: بين الأَلَم والأَمَل:**

رصد الشَّاعر خلجات النَّفْس الرَّازِحة تحت نِير الاحتلال، والمُعبَّأة بحَنِين العَوْدة حتَّى حينٍ في الشَّتَات، وبين اليَأْس والتَّشاؤُم أُسلِم الشَّعب إلى مِقْصلة التَّشريد، بقتل أحلامه البريئة نحو التَّحرُّر والعَيْش الهَانِئ الكريم، غير أنَّ ملمح التَّحدِّي، مُجلَّلًا بعظيم التَّصدِّي، بدا سلاح الشِّعْر المُقَاوِم في التَّمرُّد على تَعلُّق الأحلام بالحُرِّيَّة السَّاجية بين ظُلْمة الأَلَم وضِيَاء الأَمَل.

وكيما تكون الحُرِّيَّة فلا بُدَّ من ضريبتها المعتلقة بالجُوع والخَوْف، قال الشَّاعر في قصيدة **"عن أبي ذرٍّ"**، من مجموعة **"أُغْنية حُبّ عربيَّة إلى هَانُوي"**[3]:

**"ويبقَى الخبزُ عن الأيدي المتعبة الثَّكْلى مغتربًا/ يتعلَّقُ منتظرًا أفواهَ صغاري/ لٰكنَّ بصيرتهم تدركُ أنَّا كي نغتصبَ طعامَ الغدِ/ لا بُدَّ نجوعُ اليومَ/ ولكي نقتحمَ التَّقويمَ المُتنكِّرَ في ثوبِ اللَّحظةِ/ فوقَ شفيرِ الموتْ/ لا بُدَّ وأن يتنامى فينا الخوفُ".**

---

[1] أبو خَالِد، **العَوْديسا الفلسطينيَّة**، 2: 369.

[2] يُنظَر في مضمون الأَرْض: **نفسه**، 1: 50- 58، (قصيدة "عُرْس الأَرْض"- مجموعة "وِسَام على صَدْر المِيلِيشيَا")؛ ويُنظَر: **نفسه**، 2: 154، (من قصيدة "العُبُور نهارًا"- مجموعة "بِيسَان في الرَّمَاد")؛ ويُنظَر: **نفسه**، 2: 210- 227، (قصيدة "للسَّيِّدة الكنعانيَّة أرفع هٰذا النَّخْب"- مجموعة "أُسمِّيكِ بحرًا ... أُسمِّي يدي الرَّمْل")؛ ويُنظَر: **نفسه**، 3: 87- 96، (قصيدة "قِرَاءة في كِتَاب الزَّبَد"- مجموعة "رُمْح لغِرْنَاطة").

[3] **نفسه**، 1: 286، 287.

واستدعى الشّاعر الأَمَل الملتئم بنَهْج المُقَاوَمة، ذٰلك الذي تخلّق من رَحِم المأْساة؛ حين كان الجُرْح النّازف سلاح المُوَاجَهة مع الغَاصِب المُحتَلّ، فقال في قصيدة **"مُعلّقة على جِدَار مُخيَّم جِنين"**[1]، [2]:

**"وحدي .. وأنتَ على ذراعيَّ .. في الأبدْ ../ كُلُّ البلادِ لَنَا .. وليسَ لَنَا سَنَدْ ../ صوتي المُعلّقُ في الظَّمأْ ../ صوتُ الصَّبيَّةِ .. والوَلَدْ ../-"أَحَدٌ.. أَحَدْ../ أَحَدٌ../ أَحَدْ.. أَحَدٌ.. أَحَدْ../"/ هٰذا أوانُ تَفتُّحِ الجرحِ المُفخَّخِ في الجَسَدْ ..".**

**المسرد السّابع: واقع السّلام:**

استجلب الشّاعر القِيمَة الوظيفيَّة الكَاشِفة للفنّ، بدافع التّبصُّر المُعزَّز بالنَّقْد الحَكِيم، لحقيقة المَشْهد الوطنيّ بعد التّسْوية، وحينئذٍ لا يخلو الخِطَاب من النَّقْد في أعلى مراتبه؛ إذ لم تكن الغاية التّبلُّغ بالمُقَاوَمة إلى غير الغَايَة، والشِّعْر على هٰذا يُؤسِّس لنَبْذ التّفاوُض، واعتناق الثَّوْرة نهجًا راسخًا مُشْتَمِلًا بالفِدَاء.

وعمد الشّاعر إلى تَعْرية المُؤدَّى النّاجِز في واقع السّلام، فإذا هو اليَبَاب الجَدِيد، في التّيه البالغ-بعد الرّحيل الطّويل-إلى اللاّشيء، والقَلْب مَوّارٌ بالتّسْآل على جهتي الإنْكار والذُّهُول، فقال في قصيدة **"شَمْس على البَحْر"**، من مجموعة **"فَرَس لكَنْعان الفَتَى"**[3]:

---

[1] أبو خَالِد، **العَوْديسا الفلسطينيَّة**، 3: 174.

[2] يُنظَر في موضوع الألَم مقرونًا بأَمَل التّحدّي: **نفسه**، 1: 73- 81، (قصيدة "نِيسَان سمفونيَّة"- مجموعة "وِسَام على صَدْر المِيلِيشيَا")؛ ويُنظَر: **نفسه**، 1: 140- 142، (قصيدة "إلى أُمّي ... فَاطِمة حُسين"- مجموعة "نُقُوش محفورة على مسلّة الأشرفيَّة")؛ ويُنظَر: **نفسه**، 1: 284- 287، (قصيدة "عن أبي ذرٍّ"- مجموعة "أُغْنية حبّ عربيَّة إلى هَانُوي")؛ ويُنظَر: **نفسه**، 2: 44- 46، (قصيدة "كَلِمَات لم تَحْترق"- مجموعة "الجَدَل في مُنتَصف اللَّيْل")؛ ويُنظَر: **نفسه**، 2: 97- 103، ("القِرَاءة الثّانية للنَّقْش في الرَّصَاصة الأُولَى"- مجموعة "وشاهرًا سلاسلي أجيء")؛ ويُنظَر: **نفسه**، 3: 8-20، (قصيدة "صلاة لزلزال المَسَاء الأَخِير"- مجموعة "فَرَس لكَنْعان الفَتَى")؛ ويُنظَر: **نفسه**، 3: 163- 174، (قصيدة "مُعلّقة على جِدَار مُخيَّم جِنين"- مجموعة "مُعلّقة على جِدَار مُخيَّم جِنين").

[3] **نفسه**، 3: 26، 27.

**"سأزرعُ بينَ الخرابِ القديمِ .. وبينَ الخرابِ الجديدِ/ نخيلَ السُّؤالْ ../ وأعبرُ بينَ الخرابينِ قنطرةَ الوقتِ محترسًا/ ليسَ بيني .. وبيني ليلٌ ../ وليسَ اتِّجاهي جنوبًا .. وليسَ الشَّمالْ ../ لأنَّ البلادَ التي استغرقْت في الرَّحيلِ الطَّويلِ/ تقومُ على جبلِ القلبِ ../ والقلبُ أسئلةٌ مُرَّةٌ ../ وكتابٌ يُفضِّضُني في الذَّهابِ/ يُفضِّضُني في الإيابْ".**

ويغدو السَّبيل **"عُفُونةً"** تُدانِي السُّقُوط، في زَبَد الذَّاهبين إلى الجَفَاء، حين يقول في قصيدة **"قِرَاءَة في كِتَاب الزَّبَد"**، من مجموعة **"رُمْح لغِرْنَاطة"**[1]:

**"يا أيُّها الوقتُ النَّظيفْ ../ لا تبتعدْ .. أو فابتعدْ ../ كيما تُقرّبنا العفونةُ من طهارتنا ../ فنقرأُ في تفاصيلِ السُّقوطِ .. سُقوطَنا../ في رغوةِ الأشياءِ .. والمَرْمرْ/ زَبَدٌ على الزَّعْترْ ../ زَبَدٌ على الزَّيتونِ .. والدُّفْلى ../ زَبَدٌ على رمَّانةٍ حُبْلى ../ زَبَدٌ على الأحمرْ..".**

أمَّا الإيقاع في عُمْق المَأْساة فيَشِي بغير المُرَاد، في وحي المَشْهد الجَنَائِزيّ المُجلَّل بخَوَاء الخِطَاب، وقد وقف الشَّاعر على ذٰلكم في قصيدة **"إيقَاعَات لجَنَازة الحَلْوى"**، من مجموعة **"مُعلَّقة على جِدَار مُخيَّم جِنين"**[2]:

**"باغتَنَا الغبار .. على مَرَايَاهَا ../ سأرسمُ صورةً لجنازةِ الخُطَبِ الصَّغيرةِ ../ للسَّلامْ ../ لدمٍ يصيحُ من التُّراب .. سماؤه الأولى ../ لأقنعةِ القطيعِ على النَّجيعِ .. لغاتُها/ ولَنَا الخواءُ ../ ...".**

وبدا فَصْل الخِطَاب في الطَّلَل البَائِد، إلَّا من أَضْرحة المَوْت اللَّيليّ البلاغيّ، على أَعْتاب الدِّيار، فقال الشَّاعر في قصيدة **"وَرَق لمَائِدة الهَوَاء"**، من مجموعة **"مُعلَّقة على جِدَار مُخيَّم جِنين"**[3]، [4]:

---

[1] أبو خَالِد، **العَوْديسا الفلسطينيَّة**، 3: 89.

[2] **نفسه**، 3: 142، 143.

[3] أبو خَالِد، **العَوْديسا الفلسطينيَّة**، 3: 177.

[4] في استجلاء الشَّاعِر واقع السَّلام، يُنظَر: **نفسه**، 2: 389- 435، (قصائد: "دَمِي .. نَخِيل .. للنَّخِيل"، وَ"للفُصُول اعترافاتها"، وَ"مرثيَّة الجِسْر الأَخِير"، وَ"بُكَاء ... على جسدٍ لم يَصِل"، وَ"وَدَاع .. هُو الوَقْت .."-

**"ها نحنُ في ليلِ الكلامِ نقيمُ أضرحةَ النُّجومِ – بلاغةً ../ وغزالةً – والقولُ في فصلِ الخطابِ هو الطُّللوْ ../ خوفي على مطرٍ سيأتي ثُمَّ لا يجدُ التُّرابَ/ ولا الفلولْ ..".**

**المسرد الثَّامن: الإِهْدَاءَات:**

أمكن للشَّاعر أن يُزاوِج بين الذَّاتيّ والوطنيّ، في غير قصيدةٍ شعريَّةٍ، وُشِّحَ عنوانها بالإهداء للزَّوْجة والابنة والشَّاعر الرَّفيق، والمقصد انسياحٌ كلّيٌّ في المجموع، على سبيل الفَرَادَات التي تنضوي في الكُلّ شُعُورًا ومُعَاناةً وتاريخًا وواقعًا.

واستند الشَّاعر إلى التُّرَاث الشَّعْبيّ، مُبِينًا عن عُمْق مَأْساة الرَّحِيل، قائلًا في قصيدة **"يا مِيجَانا صبرًا .. يا مِيجَانا يا رِيم"**، من مجموعة **"أُسمّيكِ بحرًا ... أُسمّي يدي الرَّمْل"**، إهداءً لابنته رِيم، في هِجْرتها الثَّالثة[1]، [2]:

---

مجموعة "دَمِي .. نَخِيل .. للنَّخِيل")؛ ويُنظَر: **نفسه**، 3: 129- 182، (قصائد: "ضَبَاب على بُوصَلة القَلْب"، وَ"إِيقَاعَات لجَنَازة الحَلْوى"، وَ"مُعلَّقة على جِدَار مُخيَّم جِنين"، وَ"وَرَق لمَائِدة الهَوَاء"- مجموعة "مُعلَّقة على جِدَار مُخيَّم جِنين")؛ ويُنظَر: **نفسه**، 3: 315- 324، (قصيدة "تَقَاسِيم عصريَّة على مُكَابَدات المعرّيّ"- مجموعة "القَصَائِد الجَدِيدة").

[1] **نفسه**، 2: 257.

([2]) يُنظَر في المضمون عينه: **نفسه**، 1: 39- 48، (قصيدة "الرِّجَال والبَحْر- إلى رِفَاقنا شُعَراء الأَرْض المُحتلَّة"- مجموعة "وِسَام على صَدْر المِيلِيشيَا")؛ ويُنظَر: **نفسه**، 1: 140- 142، (قصيدة "إلى أُمّي .. فَاطِمة حُسين"- مجموعة "نُقُوش محفورة على مسلَّة الأشْرفيَّة")؛ ويُنظَر: **نفسه**، 1: 273- 277، (قصيدة "أُمّي ... وكَلِمَات السِّرّ العِبْريَّة- إلى أُمّي تحت وطأة الاحتلال الصّهيونيّ داخل وخارج الأرض المُحتلَّة"- مجموعة "أُغْنية حبّ عربيَّة إلى هَانُوي")؛ ويُنظَر: **نفسه**، 2: 178- 182، (قصيدة "على الصَّلِيب- إلى الشَّاعِر الصَّدِيق فَارُوق شُوشَة"- مجموعة "بِيسَان في الرَّمَاد")؛ ويُنظَر: **نفسه**، 2: 192- 200، (قصيدة "حِوَار خَاطِف مع فنَّى فلسطينيّ- إلى مَحْمُود دَرْوِيش بعد قصيدته المُتنبّي"- مجموعة "أُسمّيكِ بحرًا ... أُسمّي يدي الرَّمْل")؛ ويُنظَر: **نفسه**، 2: 335- 347، (قصيدة "العَوْديسا- إلى سُهَيْلة زوجتي ورفيقة دربي"- مجموعة "دَمِي .. نَخِيل .. للنَّخِيل")؛ ويُنظَر: **نفسه**، 2: 376- 388، (قصيدة "مُغنَّاة إلى نَاجِي العَلِي"- مجموعة "دَمِي .. نَخِيل .. للنَّخِيل")؛ ويُنظَر: **نفسه**، 3: 8- 20، (قصيدة "صَلاة لزلزال المَسَاء الأَخِير- إلى بِيسَان- طفلتي"- مجموعة "فَرَس لكَنْعان الفَتَى")؛ ويُنظَر: **نفسه**، 3: 21- 25، (قصيدة "العَاشِق والوَمِيض- إلى نَاجِي عَلُّوش

**"يا ميجانا ../ يا ميجانا المدنِ الغريبةِ/ يا ميجانا المدنِ السَّليبةِ/ ميجانا الأمّ الحزينةِ/ ميجانا الدَّمِ .. والحبيبةِ .. والسُّؤالْ/ لا تبكها ../ يا أيُّها الوطنُ المُؤجَّرُ .. والمُؤجَّلُ .. والمُعَارْ/ يا ميجانا انتظري النَّدَى/ يا ميجانا .. ردَّ الصَّدَى/ يا ميجانا تدرينْ/ أنَّ البنفسجَ رغم رقَّتهِ يقاومْ/ يا ميجانا .. وأنا حزينْ/ يا ميجانا .. للرِّيمْ".**

**المطلب الثَّاني: المضامين العربيَّة:**

عالج الشَّاعر المضامين العربيَّة بسبيلين اثنين؛ تَخِذَ أوَّلهما وجهةً بُؤْرِيَّةً، وكان للثَّاني تَوجُّهٌ شموليٌّ، بجامع النَّقْد في كليهما؛ أمَّا الأوَّل فكان عدَّة الشَّاعر في التَّفاعُل مع القضايا القَوْميَّة المصيريَّة، من قبيل ما جرى في القُطْر العِرَاقِيّ، من إحْكام سَادَة الكَوْن طَوْق الجُوُع على أطفاله، في الحِصَار المُتَطاوِل، والغَزْو التَّتريّ المعاصر لعاصمة الرَّشِيد. ثمَّ كانت للشَّاعر وقفةٌ جليةٌ على الحدثين الأَيْلوليّ والبَيْروتيّ، استحضر في رحابهما عناصر الفَاجِعة ومُكوّناتها وأقطاب مُؤثّراتها.

وآل الحَدَث الأَيْلوليُّ إلى مركز الذَّاكرة الجَمْعيَّة، وغدا وثيقة التَّنافُر في مَنْشود التَّضافُر، فانطلق الشَّاعر واصفًا زمني **"الصَّمْت" وَ"المَوْت"**، بقوله في قصيدة **"كِتَابَات على رَاحَة الصَّبيَّة السَّمْراء"**، من مجموعة **"الجَدَل في مُنتَصف اللَّيْل"**[1]، [2]:

---

.. صديقي"- مجموعة "فَرَس لكَنْعان الفَتَى")؛ ويُنظَر: **نفسه**، 3: 151- 156، (قصيدة "تَلْويحة إلى أبو علي يَاسِين"- مجموعة "مُعلَّقة على جِدَار مُخيَّم جِنين").

[1] أبو خَالِد، **العَوْديسا الفلسطينيَّة**، 2: 30.

[2] يُنظَر في أحداث أَيْلول: **نفسه**، 1: 245- 270، (قصيدة "شَهْرَزاد في اللَّيْلة الثَّانِية بعد الأَلْف"- مجموعة "تَغْريبة خَالِد أبو خَالِد")؛ ويُنظَر: **نفسه**، 1: 273- 277، (قصيدة "أُمِّي ... وكَلِمَات السِّرّ العِبْرِيَّة"- مجموعة "أُغْنية حبّ عربيَّة إلى هَانُوي")؛ ويُنظَر: **نفسه**، 2: 41- 43، (قصيدة "عمَّان 72"- مجموعة "الجَدَل في مُنتَصف اللَّيْل")؛ ويُنظَر: **نفسه**، 2: 173، (من قصيدة "العُبُور نهارًا"- مجموعة "بِيسَان في الرَّمَاد")؛ ويُنظَر: **نفسه**، 2: 254، (من قصيدة "يا مِيجَانا صبرًا .. يا مِيجَانا يا رِيم"- مجموعة "أُسمّيكِ بحرًا ... أُسمّي يدي الرَّمْل").

**"من يبكي .. فليصمتْ/ هٰذا زمنُ الصَّمتِ/ الموتِ الأيلوليّ/ المكتوبِ/ على حَجرِ الإنسانِ الأوّلِ/ في عمَّانَ/ يخونُ الآباءُ الأبناءَ/ الأحفادَ/ ويبتسمونَ على مائدةِ السُّلطانِ/ ويمضونْ".**

وتصدَّعت في وحي الشِّعْر وشائج اللِّقَاء، بِـ**"القَتْل"** وَ**"الكَلِمَات"**، وفي المخاطرة البَيْروتيَّة ما أسلم الثَّوْرة إلى بَيْنُونة الموقف والوجهة. قال الشَّاعر في قصيدة **"أُسمّيكِ بحرًا .. أُسمّي يدي الرَّمْل"**[1]:

**"أنتَ بيروتُ يا أيُّها الوطنُ العربيُّ المُلخَّصُ/ بالقتلِ، والكلماتِ التي خاطرتْ بالرِّجالِ إلى حالةٍ .. بَيْنَ ../ بَيْنْ ..".**

أمَّا المدائن فلم تنفلت من عِقَال التَّلوُّن، في زَمَن الكلمات الخَادِعة، وفي ذٰلكم يمضي الشَّاعر على سبيل الاستلال الثُّنائيّ للمُتقابِلات، قائلًا في قصيدة **"صَلاة لزلزال المَسَاء الأَخِير"**، من مجموعة **"فَرَس لكَنْعَان الفَتَى"**[2]، [3]:

**"لبيروتَ وجهانِ/ وجهُ الخرابِ .. ووجهٌ جميلْ/ لعمَّانَ وجهانِ/ وجهٌ شقيٌّ .. ووجهٌ جليلْ/ لحيفا وجوهٌ تُفرّخُ فينا النَّدَى ../ والسُّهولْ/ وتحملنا في اشتعالِ الصَّليلْ/ وللحُبِّ خفقانِ ../ خفقُ اغترابٍ.. وخفقٌ أصيلْ/ وللشَّام وجهانِ .. من غربةٍ .. ورحيلْ/ وبيني .. وبينَ فلسطينَ عصرُ المذابحِ/ بيني .. وبينَ هٰذا الهديلْ/ وبيني .. وبينك حممةُ الخيلِ قبلَ انفجارِ الصَّهيلْ".**

ونلمح على الصَّعيد الشُّمُوليّ، استدعاءً بارزًا لصورة الحاكميَّة العربيَّة، التي ابتنت جدارًا فوق الجِدَار، وحاصرت مطامح الشَّعْب في الحقّ والحُرِّيَّة والعَدَالة، بوليجتي الأَمْن

---

[1] أبو خَالِد، **العَوْديسا الفلسطينيَّة**، 2: 233.

[2] **نفسه**، 3: 9، 10.

[3] في موقف الشَّاعِر من بَيْرُوت، يُنظَر: **نفسه**، 2: 185- 191، (قصيدة "بَيْرُوت 78"- مجموعة "أُسمّيكِ بحرًا ... أُسمّي يدي الرَّمْل")؛ ويُنظَر: **نفسه**، 2: 250، 251، (من قصيدة "يا مِيجَانا صبرًا .. يا مِيجَانا يا رِيم"- مجموعة "أُسمّيكِ بحرًا ... أُسمّي يدي الرَّمْل").

ثُمَّ مزيد الأَمْن؛ إذ كان المستوى الأوَّل خاصًّا بالفلسطينيِّ اللاّجئ المنطلق صَوْب أيِّ اتِّجاهٍ؛ بينما تجلَّى الثَّاني في استئصال الثَّوْرة من أُصُولها في دول الطَّوْق.

ورسم الشَّاعر صورة الأمن العربيِّ، في علاقته باللاّجئ الفلسطينيِّ، حين يُطلَب بجُرْم الحُبِّ المُكلَّل بالفِدَاء، قائلًا في قصيدة **"شَهْرَزاد في اللَّيْلة الثَّانِية بَعْد الأَلْف"**، من مجموعة **"تَغْرِيبة خَالِد أبو خَالِد"**[1]:

**"(4)/ رسمتُ ببابكم وجهي/ شعارًا/ في اللَّيالي الألفِ/ جاءَ الشُّرطةُ التُّعساءُ/ خَطُّوا تحتَهُ بالدَّم/ "مطلوبٌ"/ ومَنْ يُلقِي عليه القبضَ/ يكسبُ خلعةَ السُّلطانِ/ إنْ حيًّا/ وَإنْ ميتًا/ "جَريمتهُ .. يحبُّ الأرضْ"/ ...".**

ولم تتوقَّف الصُّورة عند حدِّ المُلاحَقة، بل تبعها مزيد الأمن الاستلابيِّ لفضاء الحُرِّيَّة، فيقول الشَّاعر في قصيدة **"إلى أمِّي .. فَاطِمة حُسيْن"**، من مجموعة **"نُقُوش مَحْفُورة على مسلَّة الأشرفيَّة"**[2]:

**"وجوعكِ ... جوعُ أهلي/ جوعُ أمَّتنا/ المجاعة .. في زمان القحطِ/ تَبَّ الآكلُ النَّائمْ/ وتَبَّ البائعُ .. الشَّاري/ أبو جهلٍ أبو لهبٍ/ وعشت كبيرةً .. في السِّجن/ فوق السِّجنِ/ يا أمِّي الفدائيَّة ...".**

وأبان الشَّاعر عن عظيم الأثر الذي خلَّفه الشَّقِيق العربيُّ، في الفلسطينيِّين جميعًا، بقوله في قصيدة **"بَيْرُوت"**، من مجموعة **"أُسمِّيكِ بحرًا ... أُسمِّي يدي الرَّمْل"**[3]، [4]:

---

[1] أبو خَالِد، **العَوْديسا الفلسطينيَّة**، 1: 259.

[2] **نفسه**، 1: 142.

[3] أبو خَالِد، **العَوْديسا الفلسطينيَّة**، 2: 191.

[4] يمكن التماس قدرٍ كبيرٍ من النَّماذج الشِّعريَّة المُعبِّرة عن النَّقْد الثَّقافيِّ للسُّلطات العربيَّة، يُنظَر: **نفسه**، 39- 48، (قصيدة "الرِّجَال والبَحْر"- مجموعة "وِسَام على صَدْر المِيليشيَا")؛ ويُنظَر: **نفسه**، 1: 137- 139، (قصيدة "نُقُوش مَحْفُورة على مسلَّة الأشرفيَّة"- مجموعة "نُقُوش مَحْفُورة على مسلَّة الأشرفيَّة")؛ ويُنظَر: **نفسه**، 1: 157- 169، (قصيدة "المهلهل"- مجموعة "تَغْرِيبة خَالِد أبو خَالِد")؛ ويُنظَر: **نفسه**، 1: 170- 190، (قصيدة "سَيْف بن ذِي يَزَن"- مجموعة "تَغْرِيبة خَالِد أبو خَالِد")؛ ويُنظَر: **نفسه**، 1: 191- 217، (قصيدة "عَنْتَرة"- مجموعة "تَغْرِيبة خَالِد أبو خَالِد")؛ ويُنظَر: **نفسه**، 2: 80- 88، (قصيدة "قُرْطبة في

**"ترجَّل إذًا أيُّها العربيُّ/ وواصلْ خلاصكَ في لحمنا/ ستكون .. إذا كنتَ .. أو لا تكونُ/ ترجَّل بنا .. غابةً .. ورجالًا/ ترجَّل وإلَّا/ سينهشكَ الطَّيرُ من حزننا السَّرمديْ/ وكنْ قمرًا شاسعًا كالسَّماءْ/ وكنْ ما نشاءْ/ فإنَّ الجرارَ التي طفحتْ... طفحتْ/ والصَّبايا ... تحجَّرنَ/ واتَّسع اللَّيل حتَّى غدا خيمةً من خواءْ".**

**المطلب الثَّالث: المضامين العالميَّة:**

استجلى خَالِد أبو خَالِد النِّطَاق العالميَّ، المتموضع خلف أستار الحَدَث، بدافع استعادة المِثَال الإيجابيّ، ونقض التَّآمُر الغربيّ، وبيان القَوْل مُعزَّزٌ بالمُحَاجَجة المَبْنيَّة على المنطق، ليس لها إلَّا أن تتبدَّى بلغة المُبَاشَرة حينًا، وبالمَجَاز حينًا آخرَ، وبإطاري التَّخْصيص تارةً، والتَّعْميم تارةً أخرى.

وقد استقطب الشَّاعر التَّجربة الفيتناميَّة، لتَعْرية السُّقُوط العربيّ الفَادِح، بمثال الفيتناميّين في الوحدة والتَّصدِّي، أمام جَبَرُوت السَّيِّد الأَبْيض، في عَهْد حُقُوق الإنسان، واتِّفاقيَّات الأمان، قائلًا في قصيدة **"أُغْنية حبّ عربيَّة إلى هَانُوي"**[1]:

**"أُرتّبُ أمتعتي/ دفتري/ وحذائي/ ووجهي/ وخارطةَ الوطنِ العربيّ/ الكبيرِ بأحزانهِ/ والكبيرِ بما يحتوي من حدودٍ/ ومعتقلاتٍ/ ونفطِ/ أُودِّعكمْ أيُّها الأصدقاءُ/ أُقبِّلكمْ في عيونِ صغاري/ وألتصقُ الآنَ بالأرضِ أكثرَ/ يا جسدي المُتمثِّلَ فيها/ أعنِّي/ وأطلق سراحي/ انتظرني على بابِ روما/ وباريسَ/ تحتَ سفوحِ أثينا/ وفي الوطنِ العربيّ/ احتضنِّي/ أقومُ .../ وحولي يقومُ الملايينُ/ فيما**

---

هِجْرة صَقْر قُرَيش"- مجموعة "وشاهرًا سلاسلي أجيء")؛ ويُنظَر: **نفسه**، 2: 104- 114، (قصيدة "من دَفْتر فِدائيّ في قُوَّات العَاصِفة"- مجموعة "وشاهرًا سلاسلي أجيء")؛ ويُنظَر: **نفسه**، 2: 135- 142، (قصيدة "أبو محجن الثَّقفيّ لا وَعْدَ ... ولا تَوْبة"- مجموعة "بِيسَان في الرَّمَاد")؛ ويُنظَر: **نفسه**، 2: 220، 221، (من قصيدة "للسَّيِّدة الكنعانيَّة أرفع هٰذا النَّخْب"- مجموعة "أُسمِّيك بحرًا ... أُسمِّي يدي الرَّمْل")؛ ويُنظَر: **نفسه**، 3: 97- 110، (قصيدة "لا تتركيني وحيدًا .. ولا تتركيني"- مجموعة "رُمْح لغِرْنَاطة").

[1] أبو خَالِد، **العَوْديسا الفلسطينيَّة**، 1: 308- 310.

**تبقَّى من الكونِ/ والمجدُ هانوي/ هانوي/ كلُّ العواصمِ هانوي/ والحبُّ للأصدقاءِ/ برغمِ سقوطِ العديدِ من الأصدقاءْ".**

وكان للشَّاعر أن يرى الحَدَث برؤيةٍ مَفْضُوحة الدَّافِع مُفتَضحة الأَثَر، والمضمون فيهما بالغٌ حدَّ المُؤامَرة[1]، بقطبيها المُؤثِّرين بريطانيا وَأمريكا، ومن لفَّ لفيفهما من أدعياء العُرُوبة، فقال الشَّاعر على لسان الغَازِي، في مسرحيَّة **"فَتْحي"**[2]، [3]:

**"الغازي: أمريكا سيِّدةُ العالمِ/ وعدت تسندنا .. أمريكا/ رائعةٌ عظمى/ ترثُ الأرضَ بمن فيها والشَّمسُ دولارُ هٰذا العصرِ/ والعالمُ يحكمهُ الدُّولارُ/ ونحنُ دولارُ الأرضِ العربيَّةِ يا هٰذا الرَّاحل فاعلمْ/ أنَّ يهودَ العالمِ بعثوا هتلرَ هٰذا الشَّرقْ".**

---

[1] أدرك الفلسطينيُّون الخَطَر الذي يتهدَّد وُجُودهم على الأَرْض؛ بفعل المُؤَامَرات الدَّوْليَّة؛ وجاءت ثَوْرة (1936م)؛ لتُشكِّل رَدًّا منطقيًّا على مُخطَّط استلاب الوطن، وقد وقف الشُّعَراء على مضامين الثَّوْرة القسَّاميَّة، يُنظَر: أبو عليان، د. ياسر، (يناير1998م)، ثَوْرة 36- 1939م في الشِّعْر الفلسطينيّ، **مجلَّة الجامعة الإسلاميَّة**، 6(1)، ص192- 227.

[2] أبو خَالِد، **العَوْديسا الفلسطينيَّة**، 3: 224، 225.

[3] يُنظَر في المُؤَامَرات الدَّوْليَّة: **نفسه**، 1: 335، (من قصيدة "حَالَة اعتراف بالحُبِّ القَدِيم" - مجموعة "أُغْنية حبّ عربيَّة إلى هَانُوي")؛ ويُنظَر: **نفسه**، 1: 350، 351، (من قصيدة "الوُقُوف ... على الحدِّ الفَاصِل" - مجموعة "أُغْنية حبّ عربيَّة إلى هَانُوي")؛ ويُنظَر: **نفسه**، 2: 75، (من قصيدة "مُوَاصَلة الخُرُوج على قَرَار التَّصْفية" - مجموعة "وشاهرًا سلاسلي أجيء")؛ ويُنظَر: **نفسه**، 3: 183 - 254، (فَتْحي ... مسرحيَّة شعريَّة).

**الخُلاصَة**

لم يكن واقع الشّاعر خلوًا من المُؤسّسات التّكوينيَّة للشّخْصيَّة الأدبيَّة؛ ذٰلك أنَّه انسجم مع دائرة الحَدَث تفاعلًا وإنتاجًا، مستظهرًا عُمْق التّجربة الوطنيَّة، وَفْقًا للرُّؤية الذّاتيَّة، التي احتكمت إلى شهادة الأب والمُعلِّم والقُدْوة، وارتكزت على عُنْصر المكان، وأضاءت في وحيه المَعْرفة والبَيَان، مستوقفةً في النَّكْبة والنَّكْسة تَرْحال التِّيه إلى حيث اللّاّ وُصُول، ومستدعيةً ثَوْرة الفِدَاء، في وجه الخُصُوم الألدَّاء، في المستويين الإقليميّ والعالميّ.

واتَّسمت المضامين الشِّعريَّة بتَنوُّعها؛ تناغمًا مع الأحداث المتلاحقة، إلّا أنَّها انتظمت في المجمل ضمن الأُطُر الوطنيَّة والعربيَّة والعالميَّة؛ أمّا الأوّل فتَطْوافٌ على الحَدَث في فضاء الزَّمن المُجلَّل بالثَّوْرة والنَّكْبة والنَّكْسة والنَّفْي وحُلُم العَوْدة وانطلاق المُقاومة وعِشْق الأُمُومة/ الأَرْض والتَّحدِّي، وصولًا إلى المُؤدَّى الكَشْفيّ للواقع السِّلْميّ، مع اعتلاق المضمون الوطنيّ بالإهداء الذّاتيّ للزَّوْجة والابنة والشّاعِر والمُفكِّر، على سبيل المُشَارَكة الوجدانيَّة، التي رسَّخت الرَّابِطة القَوْميَّة. وحين يرتحل الشّاعر بين عواصم العُرُوبة، فله أن يصدر عن خطابٍ بُؤْريّ وآخر شُمُوليّ؛ ليستكنه في الأوّل الحالة العراقيَّة، بما اكتنفها من عَجْزٍ عربيّ عن المُوَاجهة، مستجليًا الأثرين الأَيْلوليّ وَالبَيْروتيّ، على النِّضال الفلسطينيّ، بينما رسم من خلال الآخر ملامح الصُّورَة الكلِّيَّة للحاكميَّة العربيَّة، المستندة إلى حِنْكة الأَمْن وقُوَّة العَسْكر، ولا سيَّما في جدليَّتها العلائقيَّة مع الفلسطينيّ اللاّجئ/ الثَّائر.

ولم يكن المضمون العالميُّ إلّا تبعًا للمعالجة الوطنيَّة؛ إذ إنَّ اهتمام الشّاعر انصبَّ على إضاءة جوانب القضيَّة، في دائرة المُؤَامرات الدَّوْليَّة، التي كرَّست وُعُود التَّوْطين والإسْناد والشَّرْعنة، من خلال الآخر البريطانيّ والأمريكيّ، في ظلّ التَّخاذُل العربيّ، والصَّمْت العالميّ، وهما اللَّذان سعى الشّاعر إلى مجابهتهما بالضِّدِّ الكائن في الحالة الفيتناميَّة، مثالًا على الصُّمُود والتَّحدِّي والنَّصْر.

وقد التمس الشّاعر لإضاءة هاتيك المضامين مَجَاز اللُّغة المحتشد بالتَّكْرار، فضلًا عن المُتَتالِيات الاسميَّة والفِعْليَّة والاستفهاميَّة؛ تأكيدًا على الفِكْرة، وترسيخًا لقُوَّة الخطاب، الذي احتكم قائله إلى الصُّورة البلاغيَّة تارةً، والحسِّيَّة تارةً أخرى، ضمن بناءٍ يرتكز-في

الغالب – إلى قواعد التَّأسيس المَقْطعيّ واللَّوْلبيّ والدّراميّ، ويُرسِّخ دلالة العِبَارة الشِّعريَّة على المعنى المُرَاد، وَفْقَ تباينها بين ملمحي القِصْر والطُّول، ملتمسًا في الثَّاني النَّفَس المَلْحميَّ في الخِطَاب الشِّعريّ، على ما يجمع بينهما من توظيف التِّقنيَّات الأسلوبيَّة المختلفة، ممثَّلةً في التَّناصّ والرَّمْز والأُسْطورة، فضلًا عن استلهام التُّرَاث بشقَّيه التَّاريخيّ الإنسانيّ والوطنيّ الشَّعْبيّ، ليكون الأخير حاضرًا في رَنِيم "المِيجَانا" و"العَتَابا" و"الدَّلْعونا"، والحالة الشِّعريَّة-في وحي ذٰلك كلِّه- تقرأ في "الأُوديسة" ملامح الوُصُول إلى "العَوْديسا".

على هٰذا بدا الشَّاعر الثَّائر، "في سِيرته التماعاتُ مقاتلٍ ورِيشَة فنَّانٍ ورُؤْيا شاعرٍ وسع حُقُول الواقعيَّة الثَّوْريَّة بمُطوَّلاته الشِّعريَّة"[1]؛ فاستطاع "أن يخلق سياقه الشِّعريَّ المختلف .. فكتب خطواته حكايته/ حكايتنا .. وباقتدارٍ تامٍّ قدَّم نموذجًا للشَّاعِر الفَارِس .. في زمنٍ غاب عنه الفُرْسان"[2]، وَ"نصٌّ كَنْعان الفَتَى عصيٌّ على الانكسار والتَّشظِّي .. مقتحمٌ على الدَّوام .. له شَهْوة البَرْق ونَفَاذ البَصِيرة الدَّاهِم .. صَلْبٌ في زمنٍ رَخْوٍ .. خُلِقَ لزمنٍ غير زمنه هٰذا الكَنْعان الفَتَى"[3]. وقد قال الشَّاعِر من قبل: "القَصِيدة مَفْتوحةٌ .. القَصِيدة مُقْفَلةٌ .. في الحالتين؛ لتُؤكِّد أنَّها غير قابلةٍ للتَّأْويل الغَرِيب أو المُتغرِّب"[4]، كما اختتم كلمته، في مهرجان تكريمه من قبل اتِّحاد الكُتَّاب العَرَب بدِمَشق، بقوله: "وإنَّ الشِّعْر ... الشِّعْر .. لا يكون كونيًّا بهُمُومه ... إن لم يحمل همومه المحلِّيَّة ...

**لا بأس ../ لن أقول سوى فلسطين .../ ولن أغنِّي سوى أمَّتي ../ أحدٌ .. أحدٌ .. فلسطين .. أو فلسطين ../ حتَّى في زَمَن الانكسار ../ أُحبُّكم جميعًا... وأشكركم ...**"[5].

---

[1] أبو خَالِد، **العَوْديسا**، 1: 9، (سادن أُحُد الثَّقافة الفلسطينيَّة - بوزْتَريه لكنعان الفتى، بقلم مراد السُّوداني).

[2] **ن.م.**، 1: 12.

[3] **ن.م.**، 1: 13.

[4] **ن.م.**، (الغِلاف الخَلْفيُّ للعَوْديسا).

[5] أبو خَالِد، خَالِد، كلمة الشَّاعِر في حَفْل التَّكْريم، في: حَمْدان، محمَّد وَآخرون، **الشَّاعِر خَالِد أبو خَالِد – دِرَاسَات وَشَهَادَات وَنَمَاذِج شِعْريَّة**، ص75.

**ببليوغرافيا**

**أوّلًا: ثَبَتُ المَصَادِر وَالمَرَاجِع:**

- جرّار، وَلِيد صَادِق سَعِيد. **شَاعِران من جَبَل النَّار: إِبْرَاهيم طُوقَان وعبد الرَّحِيم مَحْمُود**. عمَّان: شركة الشَّرْق الأوسط للطِّباعة، 1985م.

- الجيُّوسيّ، سَلْمى الخَضْراء. **مَوْسُوعة الأَدَب الفلسطينيّ المُعاصر**. بَيْرُوت: المُؤسَّسة العربيَّة للدِّرَاسات والنَّشْر، 1997م.

- حَمْدان، محمَّد وَآخرون. **الشَّاعِر خَالِد أبو خَالِد: دِرَاسَات وَشَهَادَات وَنَمَاذِج شِعْرِيَّة**. دِمَشق: اتِّحاد الكُتَّاب العَرَب، 2001م.

- حمُّودة، سميح. **الوَعْي والثَّوْرة: دراسة في حياة وجهاد الشَّيخ عزّ الدِّين القسَّام**. القُدْس: جمعيَّة الدِّراسات العربيَّة، (د. ت).

- أبو خَالِد، خَالِد. **العَوْديسا الفلسطينيَّة**. رام الله: بَيْت الشِّعْر، 2008م.

- الدَّبَّاغ، مُصطَفى مُرَاد. **بلادنا فلسطين**. كفر قرع: دار الهُدَى، 2006م.

- الرِّيشة، مُحمَّد حلمي. **مُعجَم شُعَراء فلسطين: جمع وتوثيق**. رام الله: المُؤسَّسة الفلسطينيَّة للإرشاد القوميّ، 2003م.

- شراب، محمَّد محمَّد حسن. **شُعَراء فلسطين في العَصْر الحَدِيث**. عمَّان: الأهليَّة للنَّشْر والتَّوْزيع، 2006م.

- المرعشلي، أَحْمَد وآخرون. **المَوْسُوعة الفلسطينيَّة: القِسْم العامّ**. دِمَشق: هَيْئة المَوْسُوعة الفلسطينيَّة، طُبِعت في مطابع ميلانو ستامبا الإيطاليَّة، 1996م.

**ثانيًا: ثَبَتُ الأَبْحَاث المَنْشُورة:**

- أبو عليان، ياسر. ثَوْرة 36 - 1939م في الشِّعْر الفلسطينيّ، **مجلَّة الجامعة الإسلاميَّة**، (يناير 1998م)، 6(1).

**ثالثًا: ثَبَتُ المَوَاقِع الإلكترونيَّة:**

- **حَدِيث الذِّكْريات في حَضْرة الشِّعْر وفلسطين مع الشَّاعِر الكَبِير خَالِد أبو خَالِد**، موقع بَيْت فلسطين للشِّعْر، (www.ppbait.org)، أجرى الحوار: وسام الباش.

- **حِوَار مع الشَّاعر خَالِد أبو خَالِد**، موقع صَحِيفة الأُرْدن العربيّ، (www.arabjo.net)، أجرى الحِوَار: عَادِل سَالِم، بتاريخ 2010/9/14م.

- **حِوَار مع الشَّاعِر الفلسطينيّ خَالِد أبو خَالِد**، موقع صَحِيفة التَّجْديد العربيّ، (www.arabrenewal.info)، أجرى الحِوَار: مَاهِر مَنْصُور، بتاريخ 2003/11/4م.

- **سِيلَة الظَّهْر: يوميَّات من ثَوْرة 1936م**، موقع فلسطين في الذَّاكِرة، (www.palestineremembered.com)، إعداد: عِمَاد حنتولي، بتاريخ 2008/2/18م.

- **الشَّاعِر خَالِد أبو خَالِد: نعم كنت واحدًا من شخصيَّات رِوَاية «رِجَال في الشَّمْس»**، موقع مجلَّة جُهيْنة (ثقافيَّة اجتماعيَّة شهريَّة)، (www.jouhina.com)، أجرى الحوار: عبير غسَّان القتال، بتاريخ 2010/8/1م، العدد (63).

- **مُقَابَلة ثقافيَّة**، موقع مجلَّة العَوْدة (مجلَّة شهريَّة تُعنَى بشُؤُون اللاّجئين الفلسطينيّين)، (www.alawda-mag.com)، أجرى الحِوَار: وَحِيد تَاجَا، العَدَد 27، السَّنَة الثَّالثة، كَانُون الأوَّل، 2009م.

- ويُنظَر: **وجهًا لوجهٍ**، موقع مُؤسَّسة القُدْس للثَّقَافة والتُّرَاث، (www.alqudslana.com)، أجرى الحِوَار: عُمَر أَحْمَد، بتاريخ 2012/2/15م.